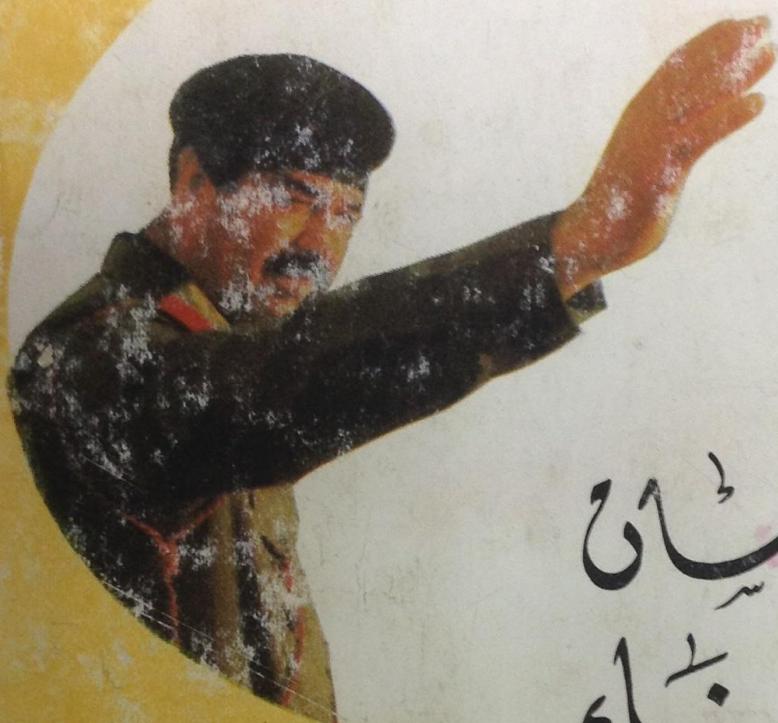


اللواء الركن
مأمون احمد الورد



الفنان
وببناء

المجتمع

في فن وتجربة
حزب البعث العربي الاشتراكي

٤٢٩٩
٥٦٢
ح١٣

٢٤١٣



جامعة الشؤون الثقافية والنشر

١٩٨٤

الـ ١ -

الجمهورية العراقية
منشورات وزارة الثقافة والاعلام
السلسلة الاعلامية

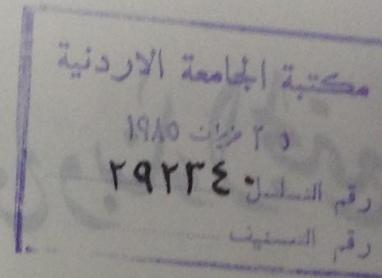
الإنسان وبناء المجتمع

في فلر وتجربة حزب البعث العربي
الدستراكي

اللواء الركن
مأمون محمد الورود



كتاب مطبوع في مصر
طبع في مصر ١٤٢٨ هـ - ١٩٠٩ م
جامعة القاهرة



صادل من دار الإشراف والتوجيه

الدھادا

إلى الدنایة الذي نزفه في جمع ..
والمجتمع الذي نزفه في أمته.

الـ

الرمز .. والخاضن .. والقائد
الرئيس صدام حسين.

حاجد احمد لور

المقدمة

في أحد مؤتمراته الصحفية ، سئل الرئيس القائد صدام حسين عن أهم الانجازات التي حققتها الثورة فأجاب : (انه الانسان العراقي الجديد) .

وبهذا التحديد الدقيق يعبر القائد عن منهج ثوري اعتمدته الحزب منذ توليه السلطة في القطر العراقي في بناء الانسان والمجتمع وتحديد موقعه السامي في عملية التغيير والنهوض الحضاري ، باعتباره غاية الثورة وغاية العملية الثورية الاساسية ، التي بدونه لا يمكنها ان تتحقق اشواطها كاملة ولا تتفاعل مع الواقع بحدوده الدنيا ، ذلك ان العمل الثوري يولد اصلا (انقلابيا) ، وبالتالي لا تستطيع الطليعة بسرعة العمل الانقلابي او الثوري المفاجيء ان تبني مجتمعا جديدا .

معطيات جديدة ومارسات رائدة ، تجعل من مسألة تحليلها وتناولها وتسلیط الضوء عليها ، امرا لا يخلو من اهمية في اطار تعميق وعي الانسان ذاته بدوره وبالمهامات التي تنتظره على جبهتي البناء وال الحرب .

وفي ضوء هذه الحقيقة ، سعىت الى دراسة (الانسان وبناء المجتمع في فكر وتجربة حزب البعث العربي الاشتراكي) يدفعني هاجس التعبير عن بعض جوانب التجربة التي امضيتها في صفوف الحزب . وان اقف بتقدير عال لدور الرئيس القائد صدام حسين ، في هذا المجال ، سواء من خلال قيادته وتوجيهه اليومـي للجهـزة والمؤسسات او من خلال احاديثه المختلفة للجماهير ، عبر زياراته الميدانية ، التي اعطت لعملية اعداد الانسان وتوعيته وطنـيا وقومـيا ، أهمـية اساسـية في سلسلـة عمليـات التغيـير والـبناء .

اللواء الركن
حامد احمد الورـد

١١

من هنا كان الانسان في مقدمة الاهداف والمهامات التي اضطلعت بها الثورة لبناء المجتمع ومواجهة عوامل التخلف وتوفير مكونات المجتمع المنشود ونشر وتحقيق انجازات قومية وتحررية تتـناسب وظروف المرحلة الراهنة وتنصل بالاهداف السوقية لlama العربية .

وفي ضوء هذا الفهم تتوضـح رسالة حزب البعث العربي الاشتراكي وتحدد رؤيته ومنهجـه المتكامل تجاه الانـسان ، الذي حصل بفضل تجربـة الحزـب في القـطر العـراقي ، على انسـانـيه وتبـوا مـوقـع جـديـدة ، ليس في مـيدـانـ الفـكـرـ والـتـنظـيمـ والـانتـاجـ ، بلـ وـ فـيـ الكـفـاحـ الوـطـنـيـ وـالـقـومـيـ ، وـ قـدـ برـزـتـ صـورـتـهـ باـفـضـلـ اـبعـادـهاـ ، فـيـ مـعرـكةـ قـادـسـيـةـ صـدـامـ .. ذلكـ الانـسانـ (الـذـيـ جاءـ تـحرـيرـهـ لـلـأـرـضـ اـمـتدـادـاـ لـتـحرـيرـهـ لـلـفـكـرـ وـالـنـفـسـ وـالـشـخـصـيـةـ مـنـ عـوـامـلـ الضـيـاعـ)ـ وـكانـ نـتـاجـ تـجـربـةـ ثـورـيةـ حـيـةـ حـاـولـتـ انـ تـعـبـرـ عـنـ روـحـ الـأـمـةـ ، وـهـيـ فـيـ حـالـةـ الـاـنـبـعـاثـ مـنـ جـديـدـ .

ورغم وجود منهج متكامل للحزب تجاه الانـسانـ وـبنـاءـ المجتمعـ وـنظـريـةـ اـثـبـتـ صـحةـ منـظـلـاتـهاـ وـامـكـانـيـةـ تـحـقـيقـهاـ فيـ العـرـاقـ . وـرـغـمـ تـناـولـ عـشـرـاتـ المـفـكـرـينـ الـقـومـيـينـ (لاـسيـماـ مـفـكـرـيـ حـزـبـ الـبعثـ)ـ لـهـذاـ المـوـضـوعـ ، الاـ اـنـهـ سـيـظـلـ مـيدـانـاـ وـاسـعاـ وـغـنـيـاـ بـالـدـلـالـاتـ وـزـاخـراـ بـالـقـيـمـ وـالـفـاهـيمـ الـجـديـدةـ .

ذلكـ انـ حـرـكـةـ الثـورـةـ المـتصـاعـدـةـ وـثـبـاتـ وـرسـوخـ تـجـربـتهاـ فيـ هـذـهـ الـبـقـعـةـ مـنـ الـوـطـنـ الـعـرـبـيـ ، تـنـطـويـ يـوـمـ يـوـمـ ، عـلـىـ

١٠

٣٧٩٧

الزان في فكر حزب البعث العربي الاشتراكي

الزان في فكر حزب البعث العربي الاشتراكي

جاء البعث استجابة تاريخية ، للمشكلات التي عانى منها المجتمع العربي - وما زال - بعد أن فشلت الحركات السياسية الأخرى في استيعاب حقيقته واستنباط قوانينه ، فتوزعت على مواقف احادية الجانب ، مما جعلها عاجزة عن ادراك مجمل الظروف الذاتية وال موضوعية لوطننا العربي . فكان بعضها (مفتربا) يلهث وراء تجارب الغرب التي لم تخلصه من أزماته كدواء لامراض مجتمعنا ، دون حساب للفروق الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والتاريخية والتراثية . يقابل ذلك تيار آخر رأى في تلك التجارب (المعاصرة) بلاء الامة ، فدعى الى العودة الى الماضي . اعتقادا بان هذا الماضي وحده هو الذي يساعد

الحدود المصطنعة التي رسمها الاجنبي ليمزق بها الوطن الواحد الممتد من الخليج العربي حتى المحيط الاطلسي .. انه الموقف الايجابي الواقعى لفكر (البعث) الذى اخذ يعلن عن نفسه يوما بعد آخر ، كحقيقة عربية ناصعة في ساحات النضال العربى .. انه الوعي القومى (الانسانى) الذى استهدف معالجة مشكلات العرب لكي يكونوا في خدمة الانسانية . وفي ذلك يتجلى البناء الحضاري التاريخي الممتد بعيدا في عمق التاريخ العربى .. انه الوعي المدرك لحقيقة قيمة الانسان ووعي انساننا المعاصر لاصالة المنجزات العظيمة للاجيال السالفة .. انه وعي جدلية الارض والانسان التي تفوق بها (حزب البعث) على كل الاتجاهات (العاجزة) التي بقيت في حدود الطرح دون العمل .. انها مشاريع ليس الا .

أن هذا الحضور البعثى قلب موازين القوى واقلق اعداء الامة من كل الاصناف والواقع ، ممن لم يرتضى للامة وحدتها ولا حريتها ولا اشتراكيتها فراح يشكك باصالة حزب البعث ويتأمر على مسيرته الثورية تأمره على الجماهير العربية حتى وصل ذلك التأمر الى حد استخدام القوة ضدها ، ممثلة بالحرب العدوانية التي هيأت لها الزمرة العنصرية الحاكمة في طهران بدعم من الامبرialisية والصهيونية .

لقد حقق حزب البعث مبادئه الانبعاثية ومنجزاته

الامة لتفى على قدميها دون حساب (الحقيقة الزمنية) التي قطعها الانسان في القرون الاخيرة ، مبتakra ومبدعا ، حتى بلغ هذه الفتوحات التكنولوجية الهائلة .

لقد توزعت هذه المواقف الناقصة والعاجزة بين (القطريه والاممية) (الدينية واللا دينية) و(القومية واللا قومية) وحركات قومية تفتقر الى المحتوى الاجتماعى^(١) حتى انتهت الى العجز التام في معالجة مشكلات المجتمع العربي . وذلك بفعل عدم ادراك هذه الحركات ، لحركة المجتمع العربي المتعددة افقا وعمقا ، والتي استوّعها بوضوح حزب الثورة العربية ، حزب البعث العربي الاشتراكي وكشف عن خطأ الاراء الشائعة المطروحة على الساحة العربية ، كبساعة كاسدة ، فتجاوزها حزب البعث الى الفهم العلمي الجدي الثوري التاريخي باعتباره مفتاح الحقيقة العربية .

ان المنظور الجدي الواقعى العلمي الثوري الذي تميز به فكر حزب البعث العربي الاشتراكي واستقلاليته المتردة النابعة من قلب الامة العربية وضميرها ، جعلته يرسم معالم الطريق الثوري للعرب بوضوح يتزامن فيه بعد الحضاري التاريخي والامتداد القومي الذي يتجاوز

(١) د. الياس فرج : تطور الايديولوجية العربية الثورية .. القسم الاول
بيروت . وكل تلك : مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية .. بغداد ١٩٧٩

يتلقى قيمها وفق برنامج تربوي علمي وأخلاقي ينسجم مع امكاناتها الجسدية وقدراته العقلية لتحقيق الانقلابية المنشودة في ذات انساننا وبخاصة الشباب^(٢).

لكي يتپھر من علائق التربية السلبية السابقة ، ويتميز بقيم خلاقية ثورية جديدة . يكون سلوكه حميداً تتجسد فيه البساطة والايثار والحس الثوري والانتقام العربي الرافض لكل التقاليد السلبية كالتعصب والفرور والاستعلاء وغيرها من القيم العائدة للمرحلة السابقة .

ان انسانية الانسان في فكر حزب البعث العربي الاشتراكي - وبعد مسيرة ستة عشر عاماً من عمر الثورة - تجسدت في الديمقراطية المعتمدة على الكفاءة .. كفادة المواطن ووعيه لمهامه الوطنية والقومية ويتقبله لبرامج الثورة ، واستعداده لتنفيذها والدفاع عنها والتضحية من اجلها . فمن خلالها اكتشف حقيقة معدنه .. انه بحق (هدف الثورة ووسيلتها) اكتملت شخصيته من خلال الاعداد الدائم الذي تناول الطفل في الحضانة والروضة صعوداً حتى الجامعة وتناول المرأة والرجل كما يتناول الجميع من خلال التماس المباشر مع منجزات الثورة ومشروعاتها وعطائها .

(٢) الرئيس القائد صدام حسين (نكتب الشباب لتضمن المستقبل) بغداد ١٩٧٧ ص ٤

بالاصالة والموضوعية ويموّقه من المشكلات الاساسية المتعلقة بالانسان غاية الثورة ووسائلها وطموحاتها الاجتماعية : الوطنية والقومية والانسانية ، التي امتحنتها المبادئ والاعقول والاجساد واكبت واقعيتها في معركة قادسية صدام .

ولقد تجسست حقيقة قيمة الانسان في فكر (حزب البعث) في الموقف من النضال ومن الشهداء في المعركة ، والتي تؤكد كون قيمة الانسان في منظورنا لا تدانيها قيمة على الاطلاق . فليس هناك ما يعادل الانسان من قيمة مادية (انه قيمة عليا في المجتمع)^(٣) والمهدـف الاسـمي للثـورة ، انه وسائلـتها وغايتها ولذلك عملـت على غرس القيم الجديدة فيه لكي يكون الانسان العربي الجديد . في مستوى الثورة العربية^(٤) فيه تتعزز ومن انتصاراتها يتقدم الى موضع جديدة ، في مسیرته الحضارية المتـصاعدة . تلك المسـیرة التي اوجـبت على (دولة حـزب الـبعث) في عـراق الثـورة ، ان تـخلق ذلك الانسان الذي يـعـرف حـقـيقـة الدـور المـناـطـ بهـ فيـ هـذـهـ المـرـاحـلـ الخـطـيرـةـ منـ مـراـحلـ التـارـيخـ العـرـبـيـ الـمـعاـصـرـ^(٥) .

(٢) الرئيس القائد صدام حسين (الثورة والتربية الوطنية) بغداد ١٩٧٧ ص ١١

(٣) الثورة العربية - جريدة حزب البعث العربي الاشتراكي الداخـلـية العـدـد ٦ لـسـنة ١٩٧٨ ص ٤٩

(٤) من شعارات الحزب ومستلزمات التطبيق - منشورات الثورة - بغداد ١٩٧٧ - ٧٥ - ٧٧

ان حزب البعث العربي الاشتراكي في غرسه القيم الخلقيّة العربيّة في انساننا الجديد، كالشجاعة والتضحية والفاء والصدق والاخلاص والشهامة والكرم وتحمل المسؤولية ... الخ، انما يدل على اهمية الانسان والاخلاق في فكر حزب البعث .. الانسان الملتزم .. الانسان المرتبط بهذه الارض المدافع عنها . وتلك هي الاخلاقيات الثورية^(٦) التي تميز بها حزب البعث العربي الاشتراكي . ان الانسان في فكر حزب البعث - اذن - ينمو في ظل الجماعة دون ان يفقد شخصيته ويتبادل معها الفائدة والتعاون دون ان يضحي بالمجتمع من اجل الفرد، كما ذهبت الفلسفة (الذرائية) ولا يضحي بالفرد من اجل المجتمع كما قالت به الفلسفة (الاجتماعية) - المادية الاستسلامية - انما الخط الواقعى الذي مثله البعث حينما اوجب الموازنة بين الفرد والجماعة بين الذاتي والموضوعي . فمثلاً تتحترم الجماعة طموح الفرد، على الانسان ان يحترم رأي الجماعة واهدافها^(٧) .

لقد عبرت قيادة الحزب والثورة في قطرنا عن اهتمامها

(٦) بعض المنطلقات النظرية لحزب البعث العربي الاشتراكي (المؤتمر القومي السادس) بيروت ١٩٧٤ ص ١٩ .

(٧) الرئيس القائد صدام حسين (وصايا الى المناضلين) بغداد ١٩٧٧ ص ٩ و ١٠ .

بالانسان الجديد بعدها تلك الصلة الحية التي لا تقطع بين الرئيس القائد صدام حسين وبين جماهير الشعب .. انها النسخ الذي يغذي (الدم) الى الاعضاء . وتلك في رأي القيادة نمط آخر من انماط التعلم والتعليم المتباينة بين القاعدة والرأس بين الفكر والتطبيق^(٨) .

لقد منحت الثورة الانسان الجديد ، الحرية المنضبطة في التعلم واعداد ذاته في السياق العام للجماعة و اختيار طريقة التعبير عن شخصيته بما ينسجم وطموحات الأمة حتى غدا الانسان الواعي حجماً نوعياً من الوجود يتعدى الحسيبات الكمية القائمة على تعداد السكان او النفووس في الدول والبلدان الأخرى . ولا نغالي اذا ما قلنا ان سكان العراق الذين لا يتعدون الملايين الاربعة عشر ، هم في الحسابات المعنية (النوعية) المستندة الى الایمان بقيم السماء والارض وفكر حزب البعث المؤمن بقدرات الانسان غير المحظوظة خبيث آمال الاعداء على الجبهتين الخارجية والداخلية .

واما ما أردنا ان نلخص الموقف من الانسان في القطر العراقي وجدناه جلياً في الموقف من المرأة باعتبارها نصف المجتمع . حيث اعطى حزب البعث العربي الاشتراكي

(٨) الرئيس القائد صدام حسين (الشعب مصدر القوة والعطاء) بغداد ١٩٨٠ ص ٥٢ - ٥٣ .

يكون ذلك التحرر رهن بالواقع الاجتماعي القائم . وبهذا
الربط الجدي التاريخي تجاوز الحزب المفاهيم الرجعية
و كذلك التقديمية الزائفة في طرح مشكلات المرأة .

ان مشكلة المرأة بالإضافة الى كونها مشكلة الأم
والزوجة والمواطنة والانسان فهي مشكلة التمييز
البيولوجي والاجتماعي التي ترسخت بتأثير الظروف
السابقة مما نتج عنه مشكلة التخلف المركز والاستغلال
المزدوج والاستلاب المضاعف مما فرضته القيم البالية
المتغلفة .

لقد وجد الحزب ان مشكلة المرأة ليست في طبيعة العلاقة
بين الرجل والمرأة التي تتمحور حول الأسرة القادره على
تكوين اجيال من المواطنين في مستوى المسؤولية الثورية
المطلوبة مما يفرض اهمية مشاركة المرأة في العملية الثورية
الشاملة .

وبذلك تجاوز حزب البعث بنظرته الى المرأة الاصلاحات
الجزئية والمطالبة بالحرية الشكلية السائبة . ان حل مشكلة
المرأة من وجهة نظر بعثية ثورية لا يتوقف على الاعتراف
القانوني بحقوقها بقدر ما هو مسألة جوهرية تتعلق ببناء
شخصية المجتمع عبر نظرة انسانية حضارية تقع على
عاتق الدولة وعبر مسؤولية مشتركة بين الاسرة والمجتمع
بعد ان رفض حزب البعث النظر الى المجتمع باعتباره
مكونا من (رجال احرار) ونساء (جوار) بل انه سعى الى

للمرأة حيزا كبيرا في مجلد أدبياته ووثائقه منذ تأسيسه
٧ نيسان ١٩٤٧ وحتى الان . وقد شخص بنظره واقعها
وعلمية مشكلة المرأة في الفترة الماضية دون فصلها عن
مشكلة الأمة (المجتمع) وبذلك تخطى اعتبارها مشكلة
الرجل والمرأة^(٩) .

وبعد ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ تمكنت المرأة العراقية
من الوصول الى مراكز المسؤولية القيادية في المنظمات
النقابية العمالية ، وساوى قانون الاصلاح الزراعي بينها
وبين الرجل في الحقوق كافة ، مع وجود معوقات اجتماعية
متعلقة بوعي اسرتها . وهذا ما شاركه السيد الرئيس
صدام حسين بقوله (ينبغى ان نؤكد على ان النظرة الثورية
المبنية يجب ان تنتطلق من الموقف الكلي) لذلك نحن لا ننظر
إلى المرأة بمعزل عن الموقف الكلي الذي ننتطلق منه
باعتبارها انسانا له وعليه كل الحقوق والواجبات
الإنسانية في مجتمع الثورة^(١٠) .

ولم يتحقق ذلك الا بعد ان تجاوز الحزب النظرة التقليدية
والسلفية للمرأة بمعنى اخر رفض الحزب معالجة مشكلة
المرأة بخصوصية انعزالية او من وجهة نظر نسوية
خالصة . فلن تتحرر المرأة بالجمعيات النسوية بقدر ما

(٩) د. الياس فرج - المرأة في فكر ونضال حزب البعث - منشورات الاتحاد
العام للنساء العراق - بغداد - ص ٦ و ٧ .

(١٠) الرئيس القائد صدام حسين - الثورة والمرأة - بغداد ص ٢٤ .

في ظل الثورة . وحصول الموازنة بين الحقوق والواجبات من أجل تحقيق المساواة والوصول إلى العدالة الاجتماعية التي جاء حزب البعث من أجلها بهدف اسعاد الانسان . فقد أكد حزب البعث ان كل تلك الاهداف لا تتحقق خارج دولة الحزب دولة الوحدة والحرية والاشتراكية . لذلك أكدت المادة (١٤) من دستور الحزب على انه يسعى (إلى وضع دستور للدولة يكفل للمواطنين حرية المساواة المطلقة أمام القانون والتعبير بملء الحرية عن اراداتهم في اختيار ممثليهم اختياراً صادقاً) .

اما المادة (٥) فقد نصت على وضع تشريع موحد للدولة العربية بملء الحرية منسجم مع روح العصر وعلى ضوء تجارب الأمة العربية وماضيها .. واعتبرت المادة (٦) السلطة القضائية (مضمونة ومستقلة عن آية سلطة اخرى) . وهي تتمتع بحصانة مطلقة . اما المادة (٧) فأكدت على منح حقوق المواطنين كاملة لكل مواطن عاش على الارض العربية واحلص للوطن العربي وانفصل عن كل تكتل عنصري (١٢) .

ان مبدأ الشعوبية في الحزب أكد على ان قيمة الدولة ناجمة عن انبعاثها عن ارادة الجماهير ، وعليه مارس الشعب

(١٢) الاستاذ شibli العيسوي (حزب البعث العربي الاشتراكي) القسم الأول - ط ٢ بيروت ص ١٢٣ .

خلق مواطنين احرار رجالا ونساء على السواء . ان النظرة الجدلية الشاملة التي يتميز بها حزب البعث انما هي ثمرة لنضج التجارب الذاتية للحزب دون انفصالتها عن التجارب الحديثة في العالم الثالث ، ومستمدة من حقيقة ان المرأة لا يحررها الا النضال على كافة المستويات الفكرية والتنظيمية والعملية الجديدة . وهي اليوم في العراق تقطف ثمار نضالها في العمل (١٣) وهذا ما شجعته حكومة الثورة ممثلا بعشرات الالوف من الفتيات والنساء العراقيات اللائي دخلن المعامل والمدارس والمهن الطبية والمؤسسات الحكومية والجيش بالإضافة الى الدور الانتاجي الذي تضطلع به في الريف وانخراطها في الجيش الشعبي .

ان مهمات التحول الشامل فرضت مسألة مشاركة المرأة في عملية البناء الوطني وان ابقاءها خارج تلك العملية هو من أخطر العرائيل التي تناقض مسيرة التطورية المتصاعدة . ولعل معركة البناء والتقدم ومعركة الدفاع عن سيادة الوطن قد اظهرت مدى اهمية العنصر البشري في عمليات البناء الحضاري وفي الدفاع عن حقوق الأمة العربية في الجناح الشرقي .

ونخلص من كل ذلك الى تقارب مسؤوليات الرجل والمرأة

(١٣) د. الياس فرح - المرأة في فكر ونضال حزب البعث - ص ١٦ .

ان العدالة واتباع الحق ، اذن ، واجب انساني يجب ان لا يحول بيننا وبين الالتزام به ، اخلال الآخرين له كما هو الحال في ايران مثلا ، والتي تتناقض ومبدأ الانسان الى العدالة .

ان رعاية فكر الثورة وقيادتها للعدالة والحق والمساواة انطلق من معاداتها للظلم واجتهدتها لاقتلاع جذوره من كل أرجاء الوطن العربي ، لذلك يوصي السيد الرئيس القائد صدام حسين منتبسي المؤسسات الرسمية والشعبية : (اهتموا بطلبات المواطنين وشكوا لهم ولا تتبعوا أو تملوا من ملأقة هذه الطلبات) . والحق هو هدف الثورة ومرادها فيجب (أن لا يتاثر أحد من الحق) لانه مقترب (بالقيم الكبيرة التي تناضل من أجلها) ^(١٣) .

ان نظرة البعث للانسان ، والتي عبرت عنها ادبياته كما جسّدتها ممارسته سواء على صعيد التنظيم الحزبي - أي حياته الداخلية - او على صعيد علاقته مع الجماهير او في قيادة السلطة في العراق ، إنما تعبر عن النظرة الاصلية التي تميزت بها الامة العربية في فهمها للانسان وفي تحديد قيمته وموقعه في البناء الحضاري . فقد أكد حزب البعث على ان الانسان جزء اصيل من ثروة الحياة ، وان هذه

(١٦) الرئيس القائد صدام حسين (الثورة والتربية الوطنية) بغداد ١٩٧٧ ص

(١٧) ١٦٢ و ١٦٥ و ١٦٨

جميع حقوقه السياسية ممارسة فعلية عادلة^(١٤) ، شهدت على ذلك الممارسات الديمقراطية المتعددة التي شهدتها قطرنا العراقي ، وهي ترجمة لقول السيد الرئيس القائد صدام حسين :

(لكي نقود الشعب يجب ان يؤمن الناس الذين تقودهم بذلك عادل حتى ولو كنت قاسيًا حينما يتطلب الأمر القسوة) ^(١٥) لكي نجاهد الاعداء ونحمي الثورة علينا ان نرفع شعار الواجبات قبل الحقوق وبخاصة في مرحلتنا الراهنة من أجل ادامة النصر والحفاظ على روحه في كل مراافق الحياة والمجتمع . وهذا (لا يلغى الاساس الصحيح للعلاقة بين الحقوق والواجبات) ^(١٦) .

وليس هذا فقط بل يجب ان تتواءز وتتكامل الحقوق بين الرجل والمرأة . اما مبدأ المساواة في مفهومنا الاجتماعي فله ضوابط واقعية تتجاوز (الدعوى الزائفة في المساواة المطلقة) التي لا وجود لها الا في مخيّلة اصحابها . وذلك بسبب تفاوت الناس بقدراتهم وطاقاتهم وامكانياتهم والتصاقهم بمصالح الجماهير .

(١٣) المصدر السابق ص ١٣٤ و ١٣٩

(١٤) الرئيس القائد صدام حسين (الثورة والتربية الوطنية) بغداد ١٩٧٧ ص ٦٩

(١٥) الرئيس القائد صدام حسين (الثورة والتربية الوطنية) بغداد ١٩٧٧ ص ١١٣ و ١١٦

ان بناء الانسان الجديد والمجتمع الجديد يتطلب بالضرورة تصفية العادات والمفاهيم والعلاقات المتخلفة وارسال قيم وعادات وتقالييد الثورة واظهار كل ما من شأنه ان يوفر للانسان والمجتمع الرفاهية والرخاء والتقدم ويصنفي الى الأبد ، وسائل استغلاله واضطهاده وتخلفه واستلابه « ان الثورات والنهضات انما تعمل لخلق انسان جديد مستقل الشخصية ، حر في التفكير قادر على الانتاج والابداع وتحمل المسؤولية . فلا يمكن ان تطبق الميكانيفية التي تعتمد على الكذب ، ولا تقيم وزناً للأخلاق»^(١٨) . لذلك كان التركيز على بناء الانسان الجديد وهو الانسان القومي الاشتراكي الوعي المسلح بالعلم والمعرفة ، حيث كرسـت الثورة كل طاقاتها من أجل ان يكون الفرد نموذجاً لقيم الثورة العربية ويتمتع بقدرات عالية للنضال . وذلك من خلال الارتقاء بمستواه العلمي وكفاءته التقنية كي يكون ذا ارادة اكثر حصانة وفعالية في خوض مهمة البناء والنضال ضد محاولات التسلط الاجنبي التي تواجهها الامة العربية .

« ان المجتمع من خلال عملية التفاعل بينه وبين الانسان ، يؤثر في تفكيره بكل ما يحمل من جوانب فكرية وسياسية

الثورة لا تتحقق الا بتغيير طاقات الانسان واطلاق قدراته على الخلق والابتكار والابداع وهو بالتالي وسيلة لبناء الحياة بصورتها الجميلة والسعيدة ، في الوقت الذي يكون فيه غاية هذا البناء»^(١٧) .

بناء المجتمع في تجربة حزب البعث العربي الاشتراكي

الانسان هو البداية .. وهو الوسيلة العلمية والعملية للتقدم والبناء الاشتراكي ومعارك التحرير الوطني والقومي والعنصر الاساس لتحقيق اهداف الثورة العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية .

وقد سعت الثورة في القطر العراقي الى اعادة تركيب المجتمع ووضع قواعد التغيير الثوري وفق منهج وفكر الحزب باعتباره قائد الثورة ومفجرها . وذلك انطلاقاً من النظرة الثورية والقومية التي تفرض بالضرورة اقتلاع شواهد ومرتكزات المجتمع القديم وايجاد المقدمات العلمية والاجتماعية والثورية للمجتمع الذي تطمح اليه الثورة وطليعتها السياسية ، لكي يكون هذا المجتمع مؤهلاً لتحمل مهام المرحلة النضالية الأكثر صعوبة ، وهي مرحلة قيادة السلطة وبناء نهضة الامة من خلال بؤرة اشعاعها .

^(١٨) الاستاذ ميشيل عفلق (في سبيل البعث) دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٢ ص ١٨٩ - ١٩٠

^(١٧) انظر كتابنا (الوطن - القائد - المواطن) بغداد ١٩٨٣ ص ٣٨ - ٤١

.

الانسان وضرورة اعداده .
وهذا الفهم يعني بالضرورة ، ان في رسالة حزب البعث رؤية ومنهجاً متكاملاً تجاه الانسان لأنه غاية الثورة وغاية العملية الثورية الاساسية ، وبدونه لا يمكن للعمل الثوري ان يتطور . كما لا يمكن ان يستمر حتى بحدوده الدنيا ، وذلك لأن العمل الثوري يولد اصلاً انقلابياً وبالتالي لا تستطيع الطبيعة بسرعة العمل الانقلابي او الثوري المفاجئ ان تبني مجتمعاً جديداً . وانما تستطيع بالتأكيد ان توسع اداة الثورة لقيادة السلطة واجهزتها الفرعية وكذلك قاعدتها الاجتماعية ، وفي مرحلة لاحقة بالامكان بناء اقتصاد اشتراكي وعلاقات فورية تمهد الطريق امام مهام اكبر . لأن بناء المجتمع الجديد ثورة اكبر من التغيير وتحتاج الى تقديم الانسان ، ولابد ان تتزامن مع العمليات الثورية الأخرى ، بل وتعتبر الوسيلة الاساسية والضرورية للنجاح في كافة الميادين . لأنه لا يمكن ان نتصور حدوث تغيير جذري وعميق دون مشاركة الانسان الوعي لدوره ودون التخلص من ترسيبات ومخلفات عهود الاوضطهاد والاستغلال التي مر بها والتي اثرت في عاداته وافكاره واسرت حركته . لذلك فان : (تحقيق الانقلاب العربي المنشود ، رهن تجسيد الروح الانقلابية في نفوس المناضلين وعقولهم وخروجهم من الواقع الفاسد وتهيئتهم لمحاربته

ونفسية اقتصادية وعسكرية وغيرها ، يؤثر في صياغة هذا الانسان ، وقد تسفر هذه الصياغة عن جوانب سلبية او ايجابية ، وتعكس هذه الصياغات في عملية التغيير المطلوب للأمام»^(١٩) .

ولعل حصيلة هذا التفاعل هي التي تجعلنا نقول عن هذا الانسان (الذي حمل الفكرة وعرف معنى الألم والتضحية ، وكانت معاناته النضالية عميقa الجنور في تراث امته وكفاح جماهيرها الكادحة ، لم يولد ولادة عفوية بل كان بناءه جزءاً من بناء مرحلة قومية انبعاثية ، كان للفكر العربي الثوري والتخطيط النضالي وللارادة التاريخية دور اساس في ولادتها) ^(٢٠) .

ان هذا التحديد المبدئي الواضح لمنهجية العمل الثوري تجاه الانسان والمجتمع تشكل اطروحة نظرية متكاملة تحدد افق وجوهر توجهها مسيرة حزب البعث تجاه الانسان والمجتمع وهي بلا شك صيغة متقدمة وثورية ولها حياثات ووسائل تطبيقية تنطلق من ايديولوجية واخلاقية الثورة العربية وتحديد دقيق لمواصفات الثورة ودورها في بناء

(١٩) الرئيس صدام حسين (نكسب الشباب لنضمن المستقبل) بغداد ١٩٧٧ ص ٥ - ٧ .

(٢٠) د. الياس فرج (الندوة الفكرية لنقاية المعلمين) بغداد / جريدة الجمهورية ص ٣ عدد ٣٠ أيار ١٩٨١ .

حرية وطنه ومستقبل أمته . وهذا العمل يضع الإنسان في هذا الموقع ، وفي خضم تفاعلات التغيير والكفاح القومي ، لابد ان تؤثر في حياته وفي نفسه و حتى في قدراته : «ان هذا الجيل من ابناء شعبنا العظيم الذي سيكتب له التاريخ في صفحات مشرقة لابد ان يتصرف بما يستحق هذا الشرف . فهو مطالب بأن يتميز عن غيره من الأجيال بالشجاعة والعطاء والتضحية واليقظة ، لأنه يؤدي دورا تاريخياً متميزاً في حماية شرف الأمة واستقلال الوطن ومباديء الجماهير»^(٢٢) .

وهذا الذي حصل بالضبط في القطر العراقي ، عندما تحول الإنسان العراقي إلى موقع جديدة وقدرات أكبر ليس في ميدان الفكر والتنظيم والانتاج ، بل وفي الكفاح الوطني والقومي ، وقد برزت هذه القدرات بشكل واضح في معركة قادسية صدام : «انه الإنسان الذي جاء تحريره للارض امتداداً لتحريره الفكر والنفس والشخصية من عوامل الضياع . فهو ليس نتاج معطيات الواقع المجزأ المتخلف ، المستغل ، المنقطع الصلة ب الماضي الحضاري وبروح العصر ، بل هو نتاج تجربة ثورية حاوالت ان تعبر عن روح الأمة وهي في حالة الانبعاث من جديد . فقد ولد

(٢٢) الرئيس صدام حسين (نخدم المبادئ ونصون الامانة ، لا تراجع والى الامام) بغداد ١٩٨٠ ص ٤٢ .

والظفر عليه)^(٢٣) .

من هنا استهدفت الثورة ، وفي مقدمة مهماتها الهادفة إلى التغيير الثوري ، المجتمع والانسان ، فعملت بصيغ وأقعية علمية على مواجهة التخلف وبناء المجتمع الجديد والتسريع بعمليات التغيير الثوري لاعداد الانسان وتوفير مكونات المجتمع المنشود ونشر وتحقيق انجازات قومية وتحررية تناسب وظروف المرحلة الراهنة وتنصل بالاهداف الستراتيجية للأمة العربية . ان عملية التغيير الثوري عملية شاملة وان كل خطوة من خطوات العمل الثوري لابد ان تؤثر وبشكل ايجابي في عملية بناء الانسان وبناء المجتمع كذلك . ولأن جوهر الثورة والعمل الثوري والنضال الدؤوب المخلص يهدف إلى تغيير ميزان العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة لصالح القوى الاجتماعية والسياسية بل وحتى الثقافية ولمصلحة الجماهير الشعبية . وهذه المسألة لابد ان تتناول الصيغ العملية والواقعية والحياتية لدور الانسان والعادات التي شلت هذا الدور والمفاهيم التي استلبت قدراته وعطّلت فاعليته بل واقحمته في مهامات جانبية وجزئية وهامشية لا يمكن بأي حال من الاحوال ان تكون أفضل من حياته ومن

(٢١) الاستاذ ميشيل عفلق - في سبيل البحث - دار الحرية للطباعة ببغداد ١٩٨٢ ص ٧٢ .

دور الانسان ووعيه وعلى قدراته ومستوى تحمله حتى وان تستهدفه بشكل مباشر . وبهذا الشأن لابد من تناول صبغ التوجيه التربوي والسياسي التي عملت باتجاه تكامل هذه الغاية الكبيرة . ولعلنا في المقدمة منها نقف بتقدير عال امام دور الرئيس القائد صدام حسين سواء من خلال قيادته وتوجيهه اليومي للأجهزة والمؤسسات او من خلال احاديثه ولقاءاته بالجماهير عبر زياراته الميدانية التي اعطت لعملية اعداد الانسان وتوعيته ، وطنياً وقومياً ، اهمية اساسية في سلسلة عمليات التغيير والبناء .. وفي هذا المجال نورد توجيهه سيادته لرجال التربية الذي يؤكد على

دور الانسان :

(عليكم ان تنطلقوا اولاً من قيمة اساسية في مسألة اعداد الجيل وبناء المجتمع .. وهي اعتبار الانسان قيمة عليا وهدفاً كبيراً ضمن المجتمع .. مطلوب توفير مستلزمات سعادته بما في ذلك تهيئة الاجواء الصحيحة لاطلاق قدراته الابداعية) .

ان هذا التوجيه التربوي والسياسي يمنحك مسألة اعداد الانسان مكانة متقدمة ورئيسة في مهمات الثورة . كما ان بروز الوسائل التربوية المباشرة التي وفرتها الثورة لاعادة تربية الانسان وتغيير موقعه ، وبالتالي دوره ، وهي الغاء التخلف الثقافي والحضاري (الأمية) ورجم الانسان في العمليات الثقافية ضمن مجال الانتاج من اجل اقتلاع

٣٥

هذا الانسان من خلال النضال المستند الى نظرة داخلية عميقه الى دور الامة في هذا العصر والى منهج علمي ثوري والى منظور حضاري شمولي .. فكان نتاج نضج شروط ميلاد حقائق جديدة على الارض العربية تنقل معها النهضة المعاصرة للامة ، من مرحلتها الثورية التي تبلورت مع ميلاد حزب البعث العربي الاشتراكي الذي كان له دور تاريخي في عملية بناء الانسان الجديد سواء على الصعيد النظري او على المستوى النضالي العملي) ^(٢٣) .

كما ان برامج الاقتصاد والبناء الاقتصادي الجديد والقوانين الجديدة ووسائل تقدم المجتمع اقتصادياً وصناعياً وزراعياً هي الأخرى من عوامل تغيير واقع الانسان وتفكيره وبالتالي عموم المجتمع . وتحت هذه القوانين تدرج المئات من القضايا التي شهدتها المجتمع بفضل الثورة . وهي لاتساعها وشمولها لا يمكن حصرها تحت اي عدد من العناوين ، مهما كانت شاملة ومتعددة ، ولكننا نستطيع ان نقول انها كانت سلسلة من عمليات التغيير والتربية والتحضير والاعداد الثوري لاعادة بناء المجتمع ومؤسسات الدولة على أسس جديدة ومعاصرة . ونستطيع ان نجزم انها كانت جميعاً ذات اثر مباشر على

(٢٣) د. الياس فرج (الندوة الفكرية لنقابة المعلمين) بغداد / جريدة الجمهورية
عدد يوم ٣٠ أيار ١٩٨١

ويخلق المبادرة التي تغذى الثورة وتعزز مسيرتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى العسكرية في ميادينها الخاصة .. ان عملية الانسجام مع خط الثورة فقط تعتبر الآن عملية تدرج لذلك لا نريد انساء يتخرجون ، بل نريد لهم يمشون على اقدام قوية وثابتة ويفكرن بعقل حي لخدمة المجتمع الجديد ومساعدة الانسان الجديد لكي يقف على اقدامه ويساهم في عملية خلق قوانين للثورة متطرفة تخدم الانسان خدمة دائمة وبدون توقف^(٢٤).

لقد استطاع هذا النهج العلمي والموضوعي الهدف والشمولي ان يهيء مناخاً أكثر فاعلية في مجال بناء المجتمع ودفع الانسان لدور اكبر في العمليات الثورية . وفي ضوء مساهمات الجماهير وبحماس تمكنت الثورة وقيادتها الفذة من استخدام الحماس والمخزون الثوري للجماهير ، لأن وعي هذه الجماهير واشراكها وتعبئتها سوف لا يزيد في طاقاتها فحسب ، بل يضاعف قوتها بابداع وتقديم لا يمكن حصره . والنتائج الملحوظة في معظم عمليات التغيير أكدت هذه الحقيقة ، وبالاخص مسألة الحماس القومي والثوري وفي ظل المناخ الديمقراطي والتمسك بالقرارات

(٢٤) الرئيس القائد صدام حسين (الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة) بغداد ١٩٨٠ ص ١٤

جذور التخلف ، وفي الوقت نفسه بناء قواعد التقدم والنشاط المتتساعد الى ابعد الحدود ، وتطوير قدرات الاداء النوعي للعاملين لزيادة الانتاج . بل وتناول كل الزوايا التي كانت مظلمة وملجاً لمركز العادات المتخلفة والقديمة . وهكذا في مجال التربية الاجتماعية والقومية والسياسية ، التي تعتبر هي الأخرى من الوسائل المباشرة والعملية في مسألة اعداد انسان الثورة الجديد .. لأن العملية الثورية لا تقف عند حدود تشخيص التخلف ، بل وتناول دور الانسان وترتبط هذا الدور ، سواء كان انتاجياً او اجتماعياً او ثقافياً او اقتصادياً وبين حياته وكرامته ودوره الجديد . ذلك ان عملية الاشتراك والربط العضوي لا تعني فقط مسك رأس الخيط وتتبع مكان التخلف فحسب ، وإنما تعني وضع القضايا في وضوحاً الكلي امام الانسان . وعندما تصبح القضية ليست قضية ارشاد سياسي وتوجيه تربوي ، وإنما تعني دوره ومهاماته وعلاقتها بمستقبله . وحين ذاك لا تدع مجالاً للاختيار . وهذه هي ابرز وافضل صيغة تعبوية وتربوية وسياسية في مجال اعداد انسان الثورة الجديد . لأن الطموح لا يقف عند حدود انسان ينسجم ويويد العمليات الثورية بل تهدف ايضاً الى خلق انسان يسهم في التطوير والابداع .. اتنا لا نريد للانسان ان يكون منسجماً مع الثورة فحسب لأننا تجاوزنا هذه المرحلة بصورة عامة ، بل نطمح الى خلق انسان يقود المجتمع

والتجزئيات التي تتصدر عن قيادة الثورة (وعلمهما يكون
القائد أميناً المقصى لا يعني ذلك أن يكون أميناً عذرًا)
متخلفاً، بمعنى أن يكون وعيه عليه، وأنهما تكون أبوة
نهج سوق العلاقة الديمقراطية الثورية، وما تتطلبه من
تفاعل، بالإضافة إلى الأسس والشروط الديمقراطية
(الآخر) ^(٢٥) لأنه لا يمكن أن تشارك الجماهير بمحاسن أو
ذلة وتنزيه أي مشروع أو إجراء تتحذه الثورة وقيادتها ما
إن تكون هذه الجماهير قد وعى دورها فيه، وفي مجمل
العملية الثورية.

الرمان ورماته التاريخية

(٢٥) الرئيس القائد صدام حسين (الثورة والتربية الوطنية) بفداد ١٩٧٧
ص ٣٥

في ضوء ما شرحناه في الصفحات السابقة يمكن القول ان نظرة حزب البعث العربي الاشتراكي الى الانسان تتلخص

بالنقاط التالية :

اولا: انها تقوم على أساس مفهوم حي مشخص للانسان والانسانية . الانسانية حالة متميزة تسود الأمم ينتفي فيها الظلم والعدوان والتخلف ، وتنمو في اجوائها ثمرات الابداع والخلق بما يحقق السعادة والخير للجميع وللبشرية عموماً . والانسان العربي الذي تحتاج اليه الأمة لتحقيق نهضتها المعاصرة كائن مرتبط باطار زمان ومكان ويحتاج بناؤه الى شروط اساسية حتى يستكمل وعيه لذاته .

ثانيا: ان نظرته تقوم على مفهوم شمولي لبعد شخصيته

رابعاً : ان نظرة البعث الى الانسان ، تقوم على فهم جدل علمي للعلاقة بين الفرد والأمة . فالتطور الذي تمر به الأمة هو الذي يحدد الأبعاد الكبرى لدور الفرد وهو الذي يرسم خصوصية هذا الدور ، ففي أمة موحدة - متقدمة في نظامها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وفي مستوى الحياة والحضارة يتقلص دور الفرد الى حدود المشاركة الجزئية في الانتاج والابداع والنضال .

اما في المجتمعات التي تعاني فيها الامة من تناقضات اساسية في تكوينها وحياتها وتتعرض الى تحديات مصيرية ، فان دور الفرد ، والجيل الذي ينتمي اليه يكون دوراً تاريخياً لأن كل شيء فيها يحتاج الى ولادة جديدة وخلق جديد وابعاد شامل^(٣) .

خامساً : ان وجود الانسان - الفرد في مثل هذه المرحلة لا يمكن تصوره في منظور حزب البعث ، من دون جيل جديد ينتمي اليه ويكون ضمن اطار معاناته التاريخية . فالتنظيم القومي الذي يجسد حقيقة الأمة الواحدة ، هو شرط أساس لولادة هذا الانسان الجديد .

(٢) نفس المصدر السابق .

ولوحدة هذه الشخصية في آن واحد . فهو ليس الكائن (ذو البعد الواحد)^(٤) لأن شخصيته لا تحد ببعد واحد من أبعادها . فهو ليس الفرد - الكم ، وليس المواطن الذي يتقلص وجوده عند حدود علاقته بالدولة أو عند بعد اجتماعي لشخصيته وليس العربي الذي يكتفي من العروبة بالانتساب الى واقع الأمة .. بل ان الانسان في نظر حزب البعث هو (الشخص) الذي يجمع تلك الابعاد ضمن اطار شخصية موحدة تنهض في داخلها العوامل وتتفرق عن آفاقها الابعاد المختلفة والغنية للشخصية البطولية التي ترتفع الى مستوى الرمز الحي للقيم الانسانية . فالانسان في نظر حزب البعث لا يتحدد من خارجه لأن وجوده قائم على الحرية .

ثالثاً : ان الانسان العربي يرتبط في منظور حزب البعث بقدره التاريخي . فهو لا يختار قوميته ولا مسرحته التاريخية . كما لا يختار بيته ولا أسرته اذما يختار بيته في ضوء متطلبات المرحلة التاريخية وهو يعطي لهذا الاختيار المعنى الأوسع والأعمق لتحقيق جوهره الانساني وحرি�ته الانسانية .

(١) د. الياس فرج (ندوة نقابة المعلمين) نشرت في جريدة الجمهورية ص ٣ عدد يوم ٣٠ ايار ١٩٨١ .

التحام القيادة بالجماهير وأيمانها بالحرية أي الإيمان بالجماهير باعتبارها قوى تاريخية حضارية نضالية . فالجيل الجديد الذي يخرج من هذه البيئة التنظيمية القومية - الاشتراكية هو الاداة التاريخية لتحقيق الانبعاث القومي الذي يتطلع دوماً الى الأفق الانساني الواسع لأن القومية لديه حب قبل كل شيء و لأن الاشتراكية لا تفصل عنده عن الحرية^(٣) .

ان نظرة حزب البعث الى الانسان قد استندت اذن الى مهمته التاريخية أي الى أعمق معايير تحقيق وجوده الانساني . وذلك لأنها انطلقت من الإيمان به ككائن حضاري يصنع الحضارة ويضاعف الانتاج ويؤدي واجبات المسؤولية المناطة به . وهذا الإيمان هو الذي قام عليه المعيار المهم لنظرية حزب البعث الى الانسان وهو معيار الثقافة التي هي روح الحضارة . فالإنسان العربي الجديد المناضل ذو الشخصية المتعددة الابعاد المتصلة بالتراث وبروح العصر ، هو الذي يدرك مهمته التاريخية وينتمي الى جيل الانبعاث ، وهو ايضاً الكائن الذي تشكل الثقافة عمادة أساسياً في تكوين شخصيته ، وفي تعزيز ثوريتها وانضاج مفاهيمه الأساسية عن الحياة وتعزيز استقلالية نهجه وأصالة نظرته وقدرته على فهم التاريخ

(٣) المصدر السابق .

ان وجود الإنسان - الفرد داخل هذا الجيل هو انقاد له من فرديته الضيقة ومن المعانوي الجرزئية والسطحية للحرية .

سادساً : ان تنظيم هذا الوجود الإنساني للفرد من أجل وضعه في سياقه التاريخي وتحقيق أوسع الآفاق لتجربة الحرية الإنسانية لا يمكن ان يكون تنظيماً بالمعنى التقني المزعول عن الاهداف والدوافع التي أملته ، والذي قد يهبط بالتعامل مع الإنسان الى مستوى الاشياء والكم المجرد و يجعل من تعبئة الطاقات سبيلاً الى تفتيتها وتعليقها بدلًا من تفريحها وتفجيرها . فنظرة حزب البعث تقصد بالتنظيم شيئاً آخر لأنها نظرت الى الحياة والى النشاط الانساني نظرة حية بعيدة عن الشيئية والآلية والصنمية ، وعن منطق القوالب العتيبة والحدود المحصورة الأفق . فالتنظيم هو المناخ والبيئة المساعدان على تحقيق الفكرة وعلى بناء الانسان الحر والجيل الثوري الذي ينهض بر رسالة حضارية انسانية .

(ذلك فهو تنظيم ديمقراطي قائم على الموازنة الجدلية بين المركزية والديمقراطية وهو تنظيم طليعي شعبي مؤمن بالجماهير ودورها التاريخي وبأن شرط القيادة القاتمة على تغيير القوى الثورية الكاملة فيها انما يتمثل في درجة

الحاجة الى الانسان الجديد :

تحفل نصوص كتاب (في سبيل البعث) للقائد المؤسس ميشيل عفلق بالاشارات والمعاني التي تؤكد الحاجة الى بناء شخصية الانسان العربي ببناءً جديداً . وان معيار جدية اي عمل نضالي على طريق النهضة العربية هو القدرة على بناء هذه الشخصية المستوعبة لدورها التاريخي في مرحلة انتقال الامة من طور الانحطاط الى مرحلة الانبعاث الجديد .

ومفهوم الانسان العربي الجديد الذي يتضح عبر تلك النصوص يكشف لنا ان هذه الولادة ليست بالولادة العادلة البسيطة لأن كل شيء في الواقع الراهن للأمة يتجدد ويعاكسها . فهي لابد ان تكون اذن ، ولادة نضالية وارادية وان تكون الامها كثيرة .

ففي مقال (عهد البطولة) تبرز أول سمة من سمات هذه الشخصية (المبنعة) التي ينبغي ان تكون نقىض واقعها ، وان تتحقق في ذاتها قبل ان ترى في الواقع صورة المستقبل المتصالح مع ماضي الامة والتفاعل بعمق وأصالة مع تيارات العصر :

(الآن تنطوي صفحة من تاريخ نهضتنا العربية وصفحة جديدة تبدأ ، عهد البطولة ، وأكاد أقول عهد الطفولة لأن النشء الذي يتأهب اليوم لدخول هذه المعركة له صدق

وعلاقته بالحاضر والمستقبل فهما حيا مبدعاً .
سابعاً : ان بعد الأخلاقي يشكل ايضاً سمة بارزة في نظرة حزب البعث العربي الاشتراكي الى الانسان فالانفصال عن الواقع شرط لتكوين المذاعة ضد رواسب واقع الانحطاط ولخلق الانسان والجيل الذي يستلهم المقاييس المستمدّة من طبيعة مهمته التاريخية .

فالأخلاق الثورية التي تؤكد اصالتها من خلال تمثيل القيم البطولية في تاريخ الامة والتي تعيش عصرها وقيمها الحضارية المنسجمة مع روح التجدد في الامة ، هي أساس تكوين الانسان القومي الجديد والانسان الاشتراكي الذي يتعالى على قيم الاشياء والانسان الحر الذي تتبع فيه قيمه من ذاته العميقه المتحدة بانبعاث الامة .

لذلك كانت البطولة والفروسيّة في منظور حزب البعث العربي الاشتراكي هي السمة المميزة لشخصية الانسان العربي الجديد . فقد كان هدف تجربة حزب البعث اعداد اجيال تجسد من جديد معنى البطولة العربية وخلق شروط انبعاث الشخصية الفردية للانسان والجماعية للأمة ، ضمن اطار شمولي انساني تقدمي .

الاطفال وصراحتهم^(٤)

فالانسان العربي الجديد لا يمكن تصوره من دون جيل جديد له مهمة تاريخية محددة ولا من غير معركة مصيرية تتأنب الامة لخوضها . فالنهضة العربية هي عنوان لمرحلة تدخلها الامة وانسان هذه المرحلة الحقيقي .. انسان ثوري من طراز خاص يتطلب مزايا وفضائل تتناسب وضخامة المسؤولية وخطورة المهمة وسمو الرسالة .

ومن خلال هذا النص نستطيع ان نتبين صورة الانسان في السمات التالية :

١ - انه قوي .. صلب ، قاس على نفسه لانه اصطدم بالصاعب والويلات فازداد صلابة وتماسكا وتحديا وایمانا وغيره وحماسة .

٢ - انه شجاع .. يجاهد المضلات العامة ببرودة العقل وللهيب الايمان ، ويجاهر بأفكاره ولو وقف ضده كل أهل الأرض ويدرك بأن الشجاعة ليست في محاربة العدو الظاهري فحسب بل انما هي - وعلى الأخص - في محاربة العدو الباطلي . أي ان يحارب المرء في نفسه اليأس والفتور وحب الراحة .

٣ - يتمتع بعقل علمي ويتصف بالتجدد والتواضع ونقد

الذات عند الخطأ

٤ - انه موحد الشخصية ، لا فرق عنده بين باطن شخصيته وظاهرها ولا تناقض بين يومها وأمسها .. ففي (هذا العهد الجديد) نريد ان تكون النهضة والاستيقاظ في كل عواطفنا وموهبتنا العالية لا ان تتركز في عاطفة واحدة ضيقة لم يعد يرضينا ان نسمع ان ذلك الشخص وطني اذا لم يكن في الوقت نفسه انسانيا . فالعاطفة الوطنية اذا لم تكن مصحوبة بعفة النفس وكرم الخلق قد لا تكون غير مجرد كره للاجنبي^(٥) .

وهكذا فان مفهوم الانسان العربي الجديد يأتي كتعبير عن مفهوم جديد للانسان والانسانية يربطهما بمفهوم الرسالة التاريخية وينقذها من المغاهيم السطحية والجزئية والتجريدية التي اعتادت ان تنظر الى الانسان كسمات مجردة مطلقة او كمجرد جزء معزول فاصبح الانسان هو تجسيد متجدد للانسانية يتقدم بها ومعها الى مستوى جديد تتحقق فيه المعاني الانسانية والقوى الزاخرة في الانسان على نحو افضل .

وفي المنظور الانبعاثي الجديد يشكل النضال الساحة الاساسية التي تتحقق فيها ومن خلالها انسانية الانسان

(٤) الاستاذ ميشيل عفلق (في سبيل البحث) - دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٢

(٥) الاستاذ ميشيل عفلق (في سبيل البحث) - دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٢

من أجل الاشتراكية لا ينفصل عن النضال من أجل الحرية لأن تكامل اوجه النضال انما يقصد به خلق امة جديدة بدافع جديد وشخصية جديدة يكون فيها للانسان دور يتنااسب مع المتطلبات الجديدة للانبعاث القومي الذي يضمن انبعاثاً انسانياً للأمة ولأبنائها.

لذلك فان نصوص (في سبيل البعث) تجهر في التأكيد على محاذير اختصار المرحلة النضالية واللجوء الى الاساليب الخادعة التي توهם باقتراب تحقيق الأهداف النضالية لأن في ذلك اجهاضاً لعلمية خلق الانسان الجديد .. (ان مجتمعنا يحمل او زاراً ثقيلة من عصور الانحطاط والتأخير . وانتا اذا لم ذلح عليه تكون يقظته اصيلة وابناعه عميقاً ، فانه يميل بطبيعته الى ان يختتم هذه المرحلة البطولية قبل او انها . قبل ان نكون قد استخرجنا من داخل امتنا كل الكنوز الروحية . لابد من زيادة التوتر والصراع .. لابد من الدفع الدائم ومحاربة كل كسل وكل ميل للراحة وكل محاولة لانهاء النضال او اختصاره)^(٨) فالفراغ الذي تعانيه الانسانية في حضارة الغرب حيث انفصلت المدنية عن عالم الانسان الحقيقي اصبح الانهيار والتدحرج الحضاري طابع مجتمعاته فان هذا الفراغ لا يمكن ان يملأ الا بانسانية جديدة يصنعها ألم الشعوب والcarats التي كانت

العربي الجديد . فالنضال من أجل الاشتراكية يساعد على (تحرير الانسان من الضرورات الحيوانية لينصرف الى القيام بوظيفته الانسانية)^(٩) . كما ان النضال (المستند على المصلحة المعنوية والمادية للشعب والحركة الفكرية الشاملة لا يجوز ان يكتفى بالغاء الشروط الموضوعية للاستغلال او ان ينظر الى الانسان او يجعل منه آلة ، بل ينبغي ان يستخرج كثيراً من الشروط وان ينقلها الى الضمير كي يعرف المؤمن بالاشتراكية لماذا اختار هذا المبدأ ولكي يجعل من نفسه معيناً لتغذية نضاله . ولكي يكون ايمانه هذا جزءاً من فلسفة مبسطة عن الحياة تجسم له ولجيئه المناضل رسالته في هذه المرحلة التاريخية^(١٠) .

الانسان وتناقضات الواقع :

لقد كان فكر حزب البعث العربي الاشتراكي يدرك ان عملية خلق الانسان ذي الفلسفة الجديدة ما تزال موضوع اهمال من التجارب الاشتراكية العالمية التي تركز على العوامل الموضوعية وتنظر الى الانسان من خلالها ، لا من خلال عالمه الأوسع والأعمق عالم الانسانية . ان النضال

(٦) نفس المصدر السابق ص ٩ - ٨

(٧) المصدر السابق ص ٣١

(٨) الاستاذ ميشيل عفلق (في سبيل البعث) بغداد ١٩٨٢ ص ٤١

واذا قمنا بما تربى علينا من واجبات تكون قد اعدنا لمستقبل الامة العربية ليس فقط جنوداً محاربين بل افراداً مناضلين واسخافاً واعين مفكرين ، بل اننا نكون أعداناً لمستقبل الامة روحًا صادقة اصيلة قوية ذات طاقة تقدر و تستطيع ان تفجر الحضارة تفجيراً^(١) . فالانسان يعني في منظور حزب البعث (المناضل) الذي صنعته النضال من جديد صنعاً انسانياً جديداً يحمل رسالة انسانية . والنصل التالي يؤكد على هذا المفهوم :

(ان الآفات التي يشكو منها مجتمعنا ليست بالآفات السهلة . فالفكر مستبعد هزيل فقير مقلد ، والشخصية ضعيفة الثقة بنفسها لا تقوى على الاستقلال ومجابهة الأمور بصرامة ، كيف تنتقل من حالة الى نقيضها اذا اكتفيينا بتغيير المظاهر والأشكال دون تغيير في الروح ؟ لا نصل الى الروح والاعماق الا عن طريق المشقة والانقسام الداخلي في نفس الامة ذاتها ، هذه الحرب العنيفة التي لا تداني قسوتها القسوة الحروب الخارجية مع الأعداء الألداء ؟ كيف نحقق ذلك من دون ان يضطر كل فرد من افراد الامة العربية الى ان يعود الى نفسه وان يغوص في أعماقه ويستكشف نفسه من جديد بعد التجربة والالم ، ان النضال هو الذي يخلق الأدوات الحية ، اي المناضلين الذين

(١٠) المصدر السابق (نفس الصفحات).

ضحية الاستلاب الانساني شبه الكامل .

وعلى ضوء هذا المنطلق تتحدد نظرة حزب البعث الى الانسان الجديد الذي تتطلب المرحلة بناؤه كما تتحدد النظرة الانسانية الحضارية الى النهضة العربية ذاتها : (اننا نريد ان تكون النهضة العربية عميقـة متينة في الاسس ، غنية الروح تقدس الحرية وتؤمن بالانسان وتحترم حريته واستقلاله .. نريد ان نجنب النهضة العربية كل اثر ومظهر سلبي وان نعطي البراهين الجديدة على ايماننا بالحرية وبجدارة الانسان عامة ، والانسان العربي خاصة ، بممارسة هذه الحرية)^(٢) . فالحرية هي المناخ الذي تتحقق فيه انسانية الانسان . لذلك كان الرابط الدائم في فكر حزب البعث بين بناء الانسان الجديد والایمان بالحرية وممارستها والنضال من أجلها .

وقد كان ايمان الحزب بالانسان كانسان وبالانسان العربي كتجربة للحرية وللألم محصلة لايمانه بالأمة وثقته بأن تجربتها الثورية المعاصرة هي بوتقة صاهرة للألم عظيمة كفيلة بأن تنقض مستوى جديداً لانسانية الانسان . فاذا (لم نكن واثقين من اننا نكتب صفحة جديدة في تأريخنا وفي تاريخ الانسانية فلن نقوى على تحقيق شيء . فنحن اذا وعيـنا هذه المسؤولية ، وهي مسؤولية تأريـخـية .

(٢) المصير السابق ص ٥٩ - ٦٠

اتصالاً حياً بالمشكلات الإنسانية. لذلك فإن النص التالي ينتهي إلى القول :

(ان العرب بحالتهم الراهنة يؤذنون الإنسانية بضعفهم لأنهم لا يحتلون مكاناً فعالاً بين الأمم، فأكبر خدمة يقدمها العرب للإنسانية هي أن ينهضوا بقوميتهم إلى مستوى الإنسانية). ومن خلال هذه المهمة يتبع مفهوم الإنسان العربي الجديد ونظرته الجديدة إلى الإنسانية التي (تسقطهم مقاييس المهمة التأريخية) (١٢).

ومن خلال هذا المنظور الإنساني وحد البعث بين القومية والإنسانية واعتبر المرحلة الراهنة من تطور النضال البشري هي مرحلة القوميات الإنسانية، وفهم من القومية العربية أنها تقدس لقوميات الآخرين أي تقدس لهذا الشعور عند كل شعب آخر. فالعروبة هي إنسانية. وقد اوجد فكر البعث لها (الضمادات القومية لكي لا تصطدم بالتعصب ولا تتحجر ، بل تكون دوماً منفتحة ومتطرفة وإنسانية) عندما جعل القومية والاشتراكية حقائقين متلازمتين ورفض (ال القوميّة الدينية) و(الطائفية) و (القومية الطاغية المتعصبة) وبشر بالفكرة الإنسانية الحرة الاشتراكية التي لا تبقي أي مجال للاستغلال بين عنصر وأخر وطبقة وأخرى . واعتبر ان (الإنسانية

يصبح الانقلاب شيئاً حياً في نفوسهم وعقولهم وأخلاقهم أو يصبح حياتهم ذاتها . فلابد من اجتياز هذا الطريق الذي يخلق المناضلين تباعاً ، والذي يكون امتحاناً للنفوس القوية المتألية التي تتعرف عن المصلحة الشخصية وتنتظر إلى الحياة نظرة وبعد وارفع من الذات والاستماع وترى فيها تحقيقاً لعنصر سام وجد في الإنسان لكي يشع في سلوكه) (١٣).

وهكذا فإن النضال هو الشرط الطبيعي والضروري في هذه المرحلة لتحقيق هذا الجانب المتميز من الإنسان المتمثل في قدرته على تجاوز ذاته وواقعه والسمو إلى مرتبة التعبير الأعمق والأصدق عن إنسانيته .

ان المطلوب هو بناء الإنسان الحقيقي لا الإنسان المجرد . اي الإنسان ذو الثقافة الحية المتصل بتاريخ امته ومشكلات مجتمعه وبطموح جيله ومسؤوليته التأريخية بقدر اتصاله بمشكلات الإنسانية وتغيرات العصر والحضارة . فمثل هذا الإنسان لا يمكن ان يعيش في اجواء الإنسانية كمبادئ عامة مجردة تتجاهل احياناً الفروق الأساسية الواقعية بين المجتمعات البشرية . كما لا يمكن ان يعيش في اجواء الانغلاق والتعصب والعزلة عن المشكلات الإنسانية العامة . فآفاقه واسعة الا انها متصلة

(١٢) الاستاذ ميشيل عفلق (في سبيل البعث) - بغداد ١٩٨٢ ص ١٥٥

(١٣) المصدر السابق ص ٦٢ - ٦٦

الإنسانية) كما ان الإنسانية لا يوجد ان (تفقر من قوى
القومية وتكون خالية لا تجد ارضًا تستقر عليها) وان
(القومية الإنسانية) هي (تطبيق لنظرية في القومية عامة،
اذا تخلصت من التعصب والطمع والتوسيع) وضمن هذا
الاطار السوي ينشأ الإنسان السوي ويبنى من جديد
وتاتي (فكرة الرسالة) كعامل معين لفكرة القومية العربية
ولتأكيد محتواها الإنساني . كما اتها في الوقت نفسه تشكيل
اساساً في بناء الإنسان العربي الجديد . (ففكرة القومية
العربية ان لا تتحصر بالعرب ، واتصالها تزوع انساني
وفكرة الرسالة في هذه القومية تربطها بالإنسانية عامة
وتقىها من التردد في المفاهيم السلبية القومية - كالقوم
العنصري او المذهبى وكل تعصب ضيق او شهوة للسيطرة
وتنكرها دوماً يائى امامها رسالة إنسانية لا يمكن ان توافق
اذا لم يكن الشعب العربي في الداخل ممارساً الحرية . اذلا
شيء ذا قيمة يمكن ان يصدر عن القسر والضغط والاكراه .
فالحرية هي منبع الفضائل . هذا المفهوم الإنساني . منه
الملامح الايجابية لقوميقتنا . يجب ان تحرص عليها كل
الحرص . فهي تتطلّب على نظرة جديدة الى الحياة وتحذير
اسامي الحرية والديمقراطية . وایمان لا يترنّج بالسلوقة
الإنسانية)^{١٢)}

(١٦) المصدر السابق ص ٩٩٩ - ٢٠٠

الصحيحة هي في القومية الصحيحة)^{١٣)} .
اما خصوصية المفهوم الانساني الجديد وميزة البناء
الجديد للانسان في مفهوم البعث فيحددها النص التالي :
(ان القومية بمفهومها الحديث هي التي - بمنعها القفر
الى عالمية مائعة ومجردة - تقى من الانتكاس والرجوع الى
العصبيات الصغيرة فهى ان تحفظ شخصية الانسان من
التمييع ومن التضاؤل)^{١٤)} .
ان علاقة الوسيلة بالغاية والثورة بالانسان والبعد
الأخلاقي للتكون الانساني ، يوضح ابعاد المفهوم
الانساني لعالم القومية التقديمية ، حيث يقول القائد
المؤسس :

(الأمة في مرحلة الانبعاث لا تستطيع ان تحرك فيها
القوى الكامنة للثورة والنضال وان تبدع اذا لم تكن
منسجمة مع نفسها ، مع مثلها وتاريخها - ان الوسيلة لا
يمكن ان تفصل عن الغاية - فالحرية والمسؤولية
والالتزام الخلقي هي أنسس رئيسية في بناء الشخصية
الإنسانية لا تستطيع الثورات التي تستحق هذا الاسم ان
تجاهلها او ان تعمل في اتجاه معاكس لها .
وال القومي يتبعي ان تكون (المسرح الواقعى ل لتحقيق

(١٢) نفس المصدر السابق ص ١٧١ - ١٧٦ .

(١٤) المصدر السابق ص ١٨٢ .

المجتمع السوري والتجربة العراقية

وكما ان بناء الانسان الجديد مرتبط بالحرية ، وبهذا التقدير الخاص لها والحرص على ممارستها والدفاع عنها ، كذلك فان بناء الانسان الجديد مرتبط بتكونين الوحدوية والذفافية والاشتراكية والمظاهر الحضاري الانبعاثي للأمة العربية في هذه المرحلة التاريخية . (خلق التفكير المناقض لحالة التجزئة ولما اورثته حالة التجزئة واصطبغته من عقلية وعواطف ومصالح) وخلق الانسان الاشتراكي الذي تنبع فكرته وسلوكته الاشتراكيين من وعيه لوحدة العلاقة بين اهداف الوحدة والحرية والاشتراكية ، هي في الاساس شروط تكون وبناء العربي الجديد فالانسان الجديد هذا ، هو انسان يعيش قضية الانسانية من خلال قضية الأمة ، لأن (الانسانية هي ثمرة لخوض القيم القومية وهي المجال الطبيعي السليم الوحيد لتحقيق القيم الانسانية تحقيقاً حياً) ^(١٦) .

(١٦) المصدر السابق ص ٢٨٣

شملت عملية التغيير الثوري التي قادها حزب البعث في القطر العراقي منذ ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ ، كافة ميادين الحياة . وكانت ، في الأساس جذرية وشمولية تترابط حلقاتها ارتباطاً وثيقاً . وقد استندت في احداث هذه المهمة الكبيرة على مبادئ اساسية تنحصر فيما يلي :

اولاً : ان التطوير الذي سعت اليه الثورة ، كان تطويراً مادياً وروحيأ بكل ما تعنيه هاتان الكلمتان من معان شمولية ، سواء فيما يتعلق بالانسان او ببناء المجتمع .

ثانياً : ان التطوير وازن بين الجانبين - المادي والروحي - بعلمية تجاوزت كل الاضطرابات والازمات . وذلك ان (العملية الثورية التي تركز على مدى فترة زمنية

طويلة على الجانب الروحي من التطور فـ طـ وتهمل جوانبه المادية الضرورية والمشروعة تحول ، في النهاية الى عملية خيالية لابد وان تصـ طـ بـ حقائق الواقع ، فـ تـ نـ عـزل عن الأغلبية الساحقة من الجماهير .. وـ تـ نـ هـيـ الى الفشل^(١) .

وقد اكتسبت العملية الثورية خصوصيتها من خلال الاهتمام بالجوانب المادية من التطور دون اهمال الجوانب الروحية ، وبذلك اصبحت عملية التغيير عملية عميقـة ومتـكـاملـة وـ اـسـتـقـطـبتـ الجـمـاهـيرـ الـواـسـعـةـ وـ حـقـقـتـ نـجـاحـهاـ الكـبـيرـ ، وـ اـنـصـبـ نـضـالـ الحـزـبـ وـ عـمـلـهـ عـلـىـ طـرـيقـ تـطـوـيرـ الـحـيـاـ الـرـوـحـيـ وـ الـمـادـيـ لـلـفـرـدـ وـ الـجـمـعـمـ ، بـهـدـفـ بـنـاءـ اـنـسـانـ جـدـيدـ .. اـنـسـانـ مـتـكـامـلـ الصـفـاتـ ، سـلـيمـ الـبـدـنـ وـ الـعـقـلـ .. حـرـ وـ سـعـيـدـ ، مـلـتـزمـ التـزـاماـ عـمـيقـاـ بـمـصـلـحةـ الـوـطـنـ وـ الـأـمـةـ وـ قـضـائـهاـ الـمـصـيرـيـةـ . وـ اـنـسـانـ مـتـطـورـ ثـقـافـيـاـ وـ اـجـتمـاعـيـاـ ، تـشـيـطـ وـمـنـتجـ وـمـبـدـعـ ، قـادـرـ عـلـىـ تـحـمـلـ الـمـهـمـاتـ الـصـعـبةـ وـ الـدـقـيقـةـ وـمـوـاجـهـةـ الـاـخـطـارـ الـتـيـ تـحـدـقـ بـالـجـمـعـمـ ، مـحـبـ لـلـحـيـاـ وـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ مـسـتـعـدـ لـلـتـضـيـحـةـ حـتـىـ بـالـنـفـسـ مـنـ أـجـلـ الـوـطـنـ وـ مـصـلـحةـ الـأـمـةـ .

لـقـدـ شـهـدـتـ السـنـوـاتـ الـتـيـ تـلـتـ عـامـ ١٩٧٤ـ فـتـرـةـ اـرـدـهـارـ

(١) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع - بغداد / حزيران ١٩٨٢ ص ١٥٤

التحولات النوعية وفترة انجازات كبيرة وايجابية على طريق بناء الانسان الجديد والمجتمع الجديد والعلاقات الاجتماعية الجديدة . فلقد (تحقق نمو واضح في الجوانب الفكرية والتربوية والانسانية عند الفرد وتعززت لديه القيم والتقاليد الوطنية والقومية والثورية الاصلية كما تطورت المؤسسات البنوية التي يستند اليها البناء الاجتماعي كمؤسسات التعليم والثقافة والاعلام والصحة ومنظمات الشباب والمرأة ، وأزيلت الى حد كبير اسباب ومظاهر الخل في التركيب الاجتماعي للقطر ، كالاستغلال والتمايز الاجتماعي والتخلف والأمية ، وتحررت قوى اجتماعية كبيرة كانت معطلة عن المساعدة في مسيرة البناء والقدم^(٢) .

واستأثرت عملية تحرير المرأة تحريراً كاملاً من كافة القيود المختلفة والمحرومة باهتمام متقدم من لدن الثورة وقيادتها باعتبار ان ذلك حقاً طبيعياً وانسانياً لها فضلاً عن انه شرط ضروري لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والحضارية ، فالمجتمع الذي يعاني نصف اعضائه من التخلف والبطالة والنكرة الدونية لابد أن يكون مجتمعاً مريضاً ومتخلفاً .

(ان تحرير المرأة شرط اساسي من شروط بناء المجتمع

(٢) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع - ص ١٦٣

الموضوعية لتحرير المرأة وبطريقة متساوية مع مساحة التحرر والتقدم التي يحققها المجتمع^(٤).

وفي ضوء هذه الرؤية الموضوعية والعلمية نالت المرأة فرصةً متكافئةً في ميادين العمل والتنظيم والتشريع والنشاط السياسي والمهني والنقابي ودخلت المصانع وشغلت مختلف المسؤوليات وشاركت بفعالية في النضال السياسي . ويمكن القول أن مسيرة تحرير المرأة في ظل قيادة الحزب للمجتمع العراقي قد حققت اشواطاً مرضية واستثمرت طاقاتها في الحياة الجديدة .

وفي إطار عملية البناء الجديد للمجتمع ، قضت الثورة على أخطر الظواهر الاجتماعية المعطلة للنمو والتقدم وتأثرت تأثيراً سلبياً على فعالية المجتمع ومن بينها (محو الأمية) وتأكيد انسانية الفرد وتسيير قدراته وابداعه وتحويله إلى عنصر ايجابي في الحياة اليومية .

ويعتبر القضاء على الأمية (مهمة وطنية حيوية ، تتصل اتصالاً مباشرأ بحمل مسيرة البناء والتحرر التي يقودها الحزب وتشكل احدى مركباتها الرئيسية)^(٥) .

وعلى صعيد آخر ، أولى الحزب - منذ نشائه - اهتماماً كبيراً لكسب الشباب إلى صفوفه ودفعهم لتحمل

العربي الاشتراكي الديمقراطي ، لأنه يحرر نصف السكان من حالة السلبية والدور الهامشي ويدفع بهم إلى المشاركة في صنع التجربة الديمقراطية والعملية التنموية وفي النضال القومي ، والى القيام بالدور التربوي في اعداد ناشئة الوطن^(٦) وكان من الطبيعي ان يواجه الحزب العديد من المعوقات والمشكلات ، اذاء هذه القضية بسبب الظروف الاجتماعية المتحفظة والواقع المعقد ، وكان لابد للثورة أن توافق بين درجة النضج الاجتماعي الذي يبلغه المجتمع والمساحة المتاحة لتحرير المرأة حرصاً على قيادة مسيرة المجتمع بشكل عقلاني وثورياً .. وكان المؤتمر القطري الثامن للحزب قد نبه إلى مسألة التسرع في هذه القضية وحذر من ان تتخذ تدابير تحرير المرأة طابعاً انفعالياً وغير مدروس ، وحذر من جعل العقلية الرجعية المضادة ذريعة للتقاعس عن السير في خطة مبرمجة لتحقيق مهام التحرر المطلوبة .

(ان الحزب يدرك ان عملية تحرير المرأة على صعيد موضوعي ليست قراراً تشريعياً أو مجرد تنظيم نسوي ، ولكنها عملية ترتبط ارتباطاً اساسياً ببنية النظام السياسي وفلسفته الاجتماعية ودرجة تقدمه الحضاري وعلى قدر التحرر العام الذي يحرزه المجتمع توفر الفرص

(٤) المصدر السابق - ص ١٦٤

(٥) المصدر السابق - ص ١٦٦

(٦) نفس المصدر السابق

وقطعت اشواطاً بعيدة على طريق بناء مجتمع جديد متصل اتصالاً صميمياً بتراثه العريق المبدع ومساهم اسهاماً أصيلاً وخلقاً في حاضر ومستقبل مشرقين وعظيمين للعراق وللأمة العربية كلها . (ولستنا نبالغ ، على الاطلاق ، اذا أكدنا بأن مستوى النجاح الذي يتحقق في هذا الميدان - ميدان القيم والمارسات الجديدة - هو أكثر المقاييس صحة وأصالة لمستوى النجاح الذي تحققه آية ثورة . فاذالى من تنجح الثورة في هذا الميدان نجاحاً متميزاً فان منجزاتها الأخرى ، السياسية والاقتصادية تصبح هيكل مفرغة من الحياة ومعرضه للكسر أو الانهيار تحت ضغط الظروف .. ان الانسان الجديد والمجتمع الجديد الذي تكونه الثورة هو الانجاز الاسمى ، الأكثر عطاً والأقوى ضمانة من كل الانجازات الأخرى^(٢) .

ان النجاح الذي تحقق في هذا الميدان كان وما زال ، مرتبطة بمجمل الظروف التي عانت منها مسيرة الحزب والثورة ، وبخاصة في حياتها الداخلية المعلنة منها أو غير المعلنة .. ومع (الوضوح الكامل والمتألق في مسيرة الثورة ، الذي تحقق بتسلمه القائد صدام حسين مسؤولياته المباشرة في تموز ١٩٧٩ .. ذلك الوضوح الذي انعكس على كل جوانب المسيرة .. يبرز تماماً الوضوح والاستقرار في هذا

(٢) التقرير الرئيسي للمؤتمر القطري التاسع للحزب - ص ١٧١

مسؤولياتهم تجاه قضايا النضال الثوري ، وفي فترة ، كان التنظيم الحزبي يعتمد أساساً على الشباب .. وفي ظل قيادة الحزب للسلطة الثورية أصبحت مسألة تربية الشباب واعدادهم الاعداد الوطني والقومي والاشتراكي السليم ، على قدر كبير من الحيوية . ذلك (ان من يكسب الشباب (يضمن المستقبل) ، كما عبر الرئيس القائد صدام حسين ، (وانسجاماً مع هذه المكانة لقطاع الشباب ، فقط حظي برعاية قيادة الحزب والثورة ، وبمتابعة مباشرة من قبلها ، في احياناً كثيرة ، من أجل اعداده وتربيته ووفرت له ما يمكن توفيره من المستلزمات المادية والفنية والكاربر البشري الضروري لبنائه بناءً نوعياً واشتراكيَا وعلى أساس علمية متطرفة^(٣) .

المعطيات الجديدة في المجتمع الثوري :

لعل من أبرز نتائج التجربة الخلاقة للثورة التي قادها الحزب في القطر العراقي ، تلك المعطيات الجديدة والقيم والمارسات الثورية التي تكونت في اعقاب التغيير والتطوير والبناء الجذري والشامل في هذا الميدان .

لقد حققت الثورة تطورات كبيرة في بناء انسان جديد

(٣) المصدر السابق - ص ١٦٨

ثانياً : الشجاعة وتأكيدها كقيمة في إطار العمل الوطني .. فالشجاعة كانت دائماً قيمة أساسية من قيم المجتمع العراقي .. غير أن الانجاز الأكبر الذي تحقق في ظل تجربة الحزب في العراق هو تأكيد هذه القيمة في خدمة الوطن والدفاع عنه بدلاً من كونها قيمة فردية .

ثالثاً : وبتأكيد القيمتين السابقتين (الوطنية والشجاعة) تعمقت قيمة أخرى هي حب العسكرية وتمثل مبادئها والتحلي بصفاتها .

(ان هذا الحب للعسكرية لا يعبر عن نزعه عدوانية لدى المجتمع العراقي الجديد .. بل على العكس انه تعبير قوي ومتآلق عن الحرص الأصيل والمشروع على الوطن ومكتسبات الشعب في إطار نشاط مليء بالعزيمة والذهو ، على الرغم من صعوبته وما ينطوي عليه من تضحيات .. ولعل من أهم الظواهر في المجتمع الجديد ارتفاع نسبة التطوع في الجيش ، والانضواء في الكليات والمعاهد العسكرية ، في ظل الثورة بصورة عامة ، وفي ظروف الحرب ضد العدوان الايراني ، بصورة خاصة^(١٠) .

(١٠) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع ص ١٧٤ .

الميدان^(١١) الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالرمز الوطني وبالمارسة العامة للجهاز القيادي في المجتمع الجديد . ويمكن تأشير المعطيات البارزة التالية في تجربة بناء المجتمع الجديد :

أولاً : الوطنية والولاء المطلق والعميق للشعب والوطن .. حيث أخذت هذه القيمة في العراق أهميتها الخاصة ومغزاها الخاص .

ان الوطنية ليست هي الشعور العام البسيط بحب الوطن والحنين له .. انها الشعور العميق القوي ، الثابت ، بحب الوطن والارتباط به والاخلاص له والعمل من أجله والتضحية بالنفس في سبيله عندما يهدده الخطر .. انها التغليب الفعلي على الولاءات الضيقة والمصالح الانانية الفردية .

(وهذا ما تحقق في العراق .. وهذا ما أكدته بصورة لاشك فيها ، بل وبصورة رائعة وقوية ، معركتنا ضد عدوان نظام خميني .. لقد أصبح للوطنية قيمتها الخاصة ومغزاها الخاص ، في حياة كل العراقيين . لقد رسخت وأصبحت حقيقة ثابتة .. وقوية^(١٢) .

(١١) المصدر السابق - ص ١٧٣ .

(١٢) نفس المصدر السابق .

الاجنبي بكل عناصره ومنها الفساد وضعف
الشعور الوطني وغير ذلك .

(لقد رفعت الثورة بقوة سيف العدالة .. وجعلت الرشوة
وعدم النزاهة جريمة كبيرة بل وجريمة اجتماعية تستحق
العقاب القاسي .. وفي جانب ذلك تم التأكيد بالنظرية
والتطبيق على العدالة والنزاهة .. ان الذمودج القيادي في
المجتمع يلعب دوراً اسياسياً في تأكيد هذه القيمة ، فلا يمكن
تصور ادارة حكومية نزيهة وعادلة في ظل حكومة غير نزيهة
وغير عادلة ، ولكن يمكن تصور العكس لمرحلة من الزمن ..
وهذا ما واجهته الثورة ، وسعت بعزم وايمان على
تغييره^(١٢) . وبهذا الخصوص لابد من القول ان القطر
العربي يستطيع بنجاح تجربته الثورية التي قادها حزب
البعث ان يفخر بأن مستوى النزاهة في ادارته الحكومية هو
من أعلى المستويات ليس في اطار منطقة يتکاثر فيها الفساد
فحسب وانما على صعيد عالمي ايضاً . وقد استطاع الحزب
ومناضلوه ان يحاربوا الظواهر المناقضة للنزاهة وتأكيد
حرصهم المبدئي والسلوكي على هذا المعنى الأخلاقي
والوطني ، في ممارساتهم الثورية وفي ادق شعيرات التعامل
اليومي مع الحياة .

رابعاً : العمل الجماعي وقدرة الفرد على الابداع .. وقد
نجح الحزب في ظل تجربة بناء المجتمع الجديد في
تعزيز حب العمل والاعتزاز بالانتساب الى
الجماعة المنتجة .

(ان ابرز وارقى انموذج للعمل الجماعي هو
الحزب قائد الثورة ، وطليعتها .. فالحزب هو
المؤسسة الاولى والأكثر نشاطاً بين مؤسسات
العمل الجماعي في المجتمع الجديد وان انصوات
عشرات الآلاف من الرجال والنساء من كل
الشرائح والمهن والأعمار في هذه المؤسسة الثورية
الجماعية يكتسب أهمية اجتماعية كبيرة . ففي
اطار الحزب تنصره الولاءات الصغيرة والتزعمات
الفردية والانانية ، وتنتأكد ضرورة العمل
الاجتماعي المشترك وفائدة من أجل خدمة الوطن
وتحقيق المنجزات والنضال من أجل القضايا
الكبرى)^(١٣) .

خامساً : النزاهة وحب العدالة . فقد صقلت الثورة هذه
القيمة ومسحت ما علق بها في طبيعة الفرد من
سلبيات عهود التسلط والاضطهاد والتغلغل

(١٢) المصدر السابق ص ١٧٤ .

. ١٧٥ (١٢) المصدر السابق - ص

تضييع وتهدر الكرامات ويحضر الانسان ب رغم تعارض هذه الامر مع القوانين والدستور الرسمية . فالموظف البسيط الذي كان يتعرض الى ظلم رئيس دائرته لم يكن بمستطاعه ان يطال حقه . وكان حق الفقراء والطبقات المسحوقة يضييع اذا ما تعارض مع مصالح وارادات افراد ذوي مكانة اجتماعية مؤثرة .

كما كانت الرغبات غير المشروعة للافراد ذوي النفوذ المتميز في المجتمع ، تأخذ مداها ضد مصالح ورغبات وشرف كثير من المواطنين الذين لا يجدون من يحمي مصالحهم وحقوقهم ، خاصة عندما لا تكون حالة الاعتداء عليهم ذات بينة قانونية . (فكثير من اشكال العدوان على شرف المواطن وكرامته وحتى مصالحه لا يمكن ان تصنف في اطار قانوني قابل للمعالجة من قبل القضاء ، وانما هي حالات اجتماعية لا يوفر الحماية فيها للمواطن الا مجتمع سليم ونظرة مخلصة للعدالة ورقابة نزيهة وصارمة من القيادات العليا والتزام مخلص من قبل هذه القيادات بهذا المنهج) ^(١٢) .

وفي ظروف ما قبل ثورة ١٧ - ٣٠ توز ١٩٦٨ كان الظلم والاعتداء والامتحان صفات تسود المجتمع والمؤسسات

(١٢) المصدر السابق - ص ١٧٧

سادسا : المساواة الحقيقة والعدالة بين المواطنين . وقد جعلت الثورة مسألة العدالة والمساواة تتصل بالنظرية الى المساواة بين المواطنين في القيمة الإنسانية بصرف النظر عن منحدرهم الاجتماعي او الدور الوظيفي الذي يؤدونه في المجتمع . ونظرًا لأهمية هذه المسألة بالذات في سياق هذه الدراسة لابد من الوقوف عندها قليلا والقاء نظرة على طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين المواطنين من جهة وبينهم وبين الحكم ومستوى الوظيفة التي يحتلها الفرد في سلم الدولة . قبل الثورة . ان العدالة والمساواة لا تتحققان في المجتمع بمجرد النص عليها بصورة عامة او حتى تفصيلية في القوانين . كما ان التطبيقات الاقتصادية العامة لا تكفي لوحدها لضمان العدالة والمساواة بين المواطنين . فقد كانت القوانين والدستور تنصب عليهما ولكن لا أحد يستطيع الجزم بوجود عدالة ومساواة حقيقية في القيمة الإنسانية بين المواطنين . بل ان المكانة الاجتماعية للفرد تقتاسى بمقدار الثروة التي يمتلكها ومدى صلته بالحاكم ومستوى تسلسله في السلم الوظيفي للدولة .

فهذه كلها كانت تشكل امتيازات يتقوّق بها اصحابها على المواطنين الآخرين وترتب لهم امتيازات غير مشروعة في اي نزاع ينشأ بينهم وبين المواطنين او في التعامل اليومي مع الآخرين . وبسبب ذلك كانت حقوق الشعب

الوظيفي للفرد الذي مارس عليه العدوان^(١).
بالاضافة الى ذلك ، فإن المسؤولية القيادية في الدولة ،
اصبحت لا تقترب اليها اي امتيازات غير مشروعة في
التعامل مع المواطنين بقدر ما هي مهمة غايتها خدمة
الوطن والقيام بأعباء النضال الثوري في ظل تجربة شامخة
تهدف الى نهوض الأمة وبناء المجتمع الاشتراكي
الديمقراطي الموحد .

سابعاً : النشاط والعمل المنتج وارتباط هذه القيمة
بالطموح للمجتمع الجديد . فقد تأكد ان من ابرز
الظواهر في المجتمع ، هو انه قد اصبح الى حد
ملموس مجتمعاً نشيطاً وحريصاً على اداء عمل
افضل .. ولهذه الصفة قيمة مهمة في العراق ، وفي
البلدان ذات الوضع المماثلة التي عاشت قرونًا
عديدة تحت نير السيطرة والتخلف والكسيل وعدم
احترام العمل .

(ان الموظف النشيط والعامل النشيط والقائد
الاداري النشيط هو اليوم موضع التقدير من قبل
سلطة الثورة وقيادات الحزب .. وان الفرد
الكسول وقليل الانتاج يعتبر اليوم ظاهرة مرضية

الروسية . فالحاكم الخاضع للهيمنة الاجنبية والذي يشعر
في قرارة نفسه بالمهانة يسقط حالة ضعفه وعجزه وختونته
على المواطن ، والموظف الكبير الذي يمتلكه من هو أعلى
منه يسقط شعوره بالاحباط والمهانة على من هم ادنى منه
في سلم الوظيفة . وهكذا تدور الحلقات .
وعندما اندلعت ثورة تموز ١٩٦٨ بقيادة حزببعث
العربي الاشتراكي تكون مناخ جديد في المجتمع العراقي ،
تم في ظله صيانة كرامة المواطنين وشرفهم ومعاملتهم
معاملة متساوية في القيمة الإنسانية . (وتحتل مسألة
العدالة والمساواة في القيمة الإنسانية بين المواطنين مركزاً
اساسياً في التنقيف والممارسة في المجتمع الجديد ، وفي ظل
الحزب ، وهو المؤسسة الساحرة على مصالح المواطنين
وحقوقهم وكرامتهم وفي ظل الرقابة المباشرة للقائد صدام
حسين .. تلك الرقابة التي تمتد الى اصغر الشعيرات في
المجتمع والتي لا تكل ولا تلين .. يستطيع المواطن اذا ما
تعرض لاي عنوان على حقوقه وكرامته وشرفه ، سواء كان
ذلك العدوان مدعماً بالاذلة القانونية او عدواً من ذلك
الطراز الذي تعجز القوانين عن معالجته .. يستطيع
ال المواطن ان يصل شکواه الى اعلى المراتج في الحزب
والدولة . وفي كثير من الاحيان الى الرئيس القائد نفسه ..
فینصف المواطن بصرف النظر عن الموقف الاجتماعي او

(١) نفس المصدر السابق - ص ١٧٧ .

ان من الضروري (ان تربط ربطاً واعياً بين النشاط الذي قد يكون جزء منه مظهرياً وبين الحب الحقيقي للعمل وتحويل هذا الحب الى انتاج ملموس في كافة ميادين الحياة . فلا يكفي ان يبدو المرء نشيطاً - على أهمية ذلك - وانما من الضروري ان يرتبط بعمله ارتباطاً صميمياً ، وان يكرس حياته من أجله وان يستخرج منه أكبر قدر من النتائج المثمرة) ^(١٦) .

ثامناً : انتشار صفة الصبر والقدرة على التخطيط . فلقد عرف المجتمع العراقي القديم والفرد العراقي خصوصاً قبل الثورة بقلة صبره وتوتره واندفاعة العاطفي وانسياقه ، بدون رؤية كافية ، وراء ردود الفعل ونقص الخبرة وعدم الاهتمام بالتخطيط بعيد المدى . ولكن الثورة في القطر العراقي استطاعت (بخطها الثابت واسلوبها المثابر ومنهجها الاستراتيجي بعيد المدى ، في كافة الميادين ، ان تقلص ، الى حد كبير ، هذه الصفات السلبية في محصلتها النهائية ، وان هي عبرت ، في جذورها عن الاخلاص والعفوية والكرم .. لقد

وحلّة منبوذة) ^(١٧) . وبذلك كان حزب البعث رائداً في تكريس مفهومه الاخلاقي من العمل ، عندما ربط العمل بالوطن وبأهدافه البعيدة وعمق التفاعل القائم بالجهد والكفاءة والمرتبطة بحاجة الوطن والصورة العقائدية الوعائية لمستقبله . ففي الوطن العربي وبلدان العالم الثالث تبرز الحاجة الماسة لتحقيق زمن جديد واختصار مراحل زمنية بعيدة لتحقيق الرفاه الانساني والتقدم التقني وكذلك لتحقيق هدف اكبر هو الحرية للوطن .. اذن هناك حاجة كبيرة للتحرر لا برفع السلاح فقط ، انما بتحقيق تقدم انساني آخر هو مدى شمولية تلك الحرية ، وما مستقبلها فعلاً .

ان قيمة العمل تتجسد ، وفق تجربة حزب البعث بالاندفاع الوعي وبتكتيف القدرة والكفاءة وتعزيق الخطوة المتقدمة لاختصار زمان الخطوة اللاحقة وتحقيق نهوض وطني وتقدم حضاري . ويشترط الوعي في هذا الاندفاع كي يتحقق التوازن بين الغيرة الوطنية وتنظيم حركة الانطلاق وضبطها ضمن رؤية واضحة وشاملة .

^(١٥) المصدر السابق - ص ١٧٨

^(١٦) المصدر السابق - ص ١٧٨

(فالفرد العراقي والمجتمع العراقي اليوم فرد متقال مؤمن بالمستقبل يتعامل بثقة وفرح مع شؤون الحياة .. وكما انعكست الصفات السلبية السابقة على حياته وعلى أدابه وفنونه .. فان الصفات الجديدة تتعكس اليوم بشكل متألق على أداب العراقيين وفنونهم وحياتهم) ^(١٨).

عاشرأ : الموازنة بين الحقوق والواجبات . فقد بنت الثورة قيمة غاية في الأهمية في المجتمع العراقي هي الموازنة بين حقوق المواطن الصالحة وواجباتها الوطنية التي يفرضها حق العيش والهوية . ونبحث في ترسیخ اهمية هذه القيمة بفضل نظرية الحب والتفاهم . باعتبار ان السلطة هي سلطة الجماهير وان الحزب الذي يقودها جاء من أجل منع الاستغلال والتعسف منهم . ورغم صعوبة خلق هذه الموازنة ، الا ان الحزب بوصفه طليعة المجتمع لعب دوراً بارزاً في ضبطها نظراً لحداثة عهد العراقيين بها في عملية صيغة المجتمع الجديد . (ان الحرث الشديد على مقاومة أي تحلل من الواجبات .. والحرث الشديد على

اصبحت الشخصية العراقية في ظل الثورة اكثر نضجاً ، واكثر قدرة على التعامل مع الاشياء والظروف . وقد تأكّلت هذه الصفات في تجربة الحرب ضد عدوان نظام خميني . فبرغم طول فترة الحرب وما تطلّبته من تضحيات كبيرة وما انطوت عليه من مخاطر جسيمة فقد صبر عليها العراقيون وتعاملوا معها بروح ثابتة ومثابرة من أجل الصمود وتحقيق النصر) ^(١٧).

تاسعاً : التفاؤل والشعور بالفرح والاطمئنان للمستقبل .. اذ كان الفرد العراقي والمجتمع العراقي بأسره مطبوعاً بطابع الحزن والتشاؤم وعدم الثقة بالمستقبل . وقد انعكست هذه المشاعر على حياة العراقيين وعلى أدابهم وفنونهم وعلى تعاملهم مع مظاهر الحياة ومنها السياسة . وذلك بسبب عوامل تاريخية ابرزها رزوحهم تحت نير التسلط الاجنبي قرابة اربعة قرون واحساسهم بالاستلب والخوف من بطيشه . الا ان الثورة في العراق استطاعت ان تحد وتقلص من هذه الصفات وان تخلق مجتمعاً عراقياً وفرداً عراقياً جديدين

١٨) المصدر السابق - ص ١٧٩ .

١٧) المصدر السابق - ص ١٧٩ .

الظواهر السلبية وتأكيد القيم والممارسات الجديدة في المجتمع الجديد الذي تبنيه الثورة، تماماً، كما يطمح الحزب والثورة والقائد وكما يطمح إلى ذلك ملايين العراقيين والملايين من أبناء الأمة الذين ينظرون إلى تجربة العراق نظرة الاعجاب والتقدير والأمل في الخلاص والتقدير^(٢٠).

الانسان في ذكرى رئيس القائد عاصم صدام حسين

مقاومة المحسوبية التي ترتب لممارساتها حقوقاً غير مشروعية على حساب حقوق المواطنين هو دعامة لتركيز هذه الموازنة بشكل وطيد في نفسية المواطن والمجتمع، وبالتالي في جعلها ممارسة طبيعية^(١٩).

ويؤمن من الدور الشخصي للقائد صدام حسين في تعامله المباشر مع المواطنين وفي زياراته للمؤسسات الرسمية وفي مختلف احاديثه دوراً أساسياً في تركيز هذه القيمة الجديدة في المجتمع وفي ابراز انعكاساتها في عملية الاسراع بالنهوض والبناء الشامخ لقطرنا ولتجربته الثورية العملاقة.

(ان الثورة يمكن ان تفخر .. بأنها عبر اربعة عشر عاماً قد حققت اشواطاً مهمة في تكوين مجتمع جديد وانسان جديد في العراق .. ان هذه المهمة التي حرص الحزب والقائد صدام حسين على انجازها وتألقها تبقى دائماً مهمة أساسية . فلابد من تأكيد النجاح الذي تحقق وتعميقه وجعله حالة ثابتة ومبدعة . ولابد ايضاً من ملاحقة بقایا

(٢٠) المصدر السابق - ص ١٨٠.

(١٩) المصدر السابق - ص ١٨٠.

الإنسان في فكر الرئيس القائد حسَام حسَين

دسم ملحد لقائين يمثلون في المقاومة

تقف عوامل عديدة وراء الاهتمام الكبير الذي يوليه القائد صدام حسين ، ببني تجربة العمل البعثية ، بالانسان باعتباره أصغر نواة في المجتمع .. ولعل في مقدمة تلك العوامل ، احساس القائد وقناعته الذاتية - كمفكر ثوري - ورؤيته ، ان الثورة بالمعنى العلمي لها : غاية وهدف ووسيلة هو الانسان . بالإضافة الى قناعته النابعة من تربيته الحزبية ، ان حزب البعث هو حزب انساني النزعة ، يضع الانسان في المرتبة العليا من اهتماماته وتوجهاته ، في انقلابيته .

كما ان ملاحظة القائد وتجربته في الحياة اليومية ، كمناضل ، بلورت رؤية كبرى مفادها ان هدف وغاية النضال هو تعديل وضع الانسان واحلاله بالمرتبة الائقة به .

أساسه ان تضمن الثورة في حركتها حقوق الانسان في ان يعيش حراً ، ليس بمفرده ولا بعيداً عن حقوق الآخرين . وانما بالتفاعل مع حرية الآخرين وحقوقهم .

وهذا يعني كما يؤكّد الرئيس القائد صدام حسين ، ليس من رأي حزب البعث العربي الاشتراكي ان بالامكان ان تقوم حرية للانسان أو حقوق في المجتمع على اساس حاصل جمع الحريات والحقوق الفردية للافراد . وانما على اساس التفاعل بين حريات المجتمع وحقوقه ككل تحت سقف ومفهوم مشترك للحرية العامة مع حرية الفرد . أي أن مصلحة الانسان تتحقق في التفاعل بين مصلحته ومصلحة المجتمع .

(ان الانسان ينبغي ان يكون حراً ضمن حرية المجتمع ، في معتقده وفي ذاته ، وفي تساوي الفرص في الحياة ، في ضوء مقاييس عامة متطرّفة وموضوعية وعادلة ومتوازنة مع حركة تقدم المجتمع الى امام) (١). وقد يحدث وان تقتضي مرحلة ما الميل في حسابات الحقوق والواجبات الا ان هذا (الميل) ، هو ليس خللاً ما دام للصالح العام وفي اطار تنظيم عملية بنائه ودفعه ، أي انه مؤقتاً (اذ ان القانون الاساس هو أن تكون هناك موازنة دقيقة بين حقوق المواطن

هذه العوامل الثلاثة - وربما يوجد غيرها - جعلت الرئيس القائد صدام حسين يضع الانسان في المرتبة العليا ، هدفاً وغاية ووسيلة يوفر له مستلزمات الحياة الكريمة والاجواء التي تفجر وتطلق طاقاته الخلاقة . وعندما يتحدث القائد عن الانسان لا يتحدث عن (كائن) مجرد معزول عن المجتمع في حركته وعمله وكونه عضواً عاملاً فيه ، وانما يتحدث عنه ككائن ذي قيمة وهدف ضمن المجتمع وتطور هذا المجتمع . فترتقي مكانة الانسان - الفرد - كلما كان ذا حركة منسجمة مع مسيرة المجتمع . فهو مشدود دائماً الى الانسان عامل فيه ومن أجله مبدع فيما يعطي . وهذا يعني في مفهوم علم الاجتماع عند الرئيس صدام حسين ان تجري موازنة دقيقة بين حقوق الانسان - المواطن - وواجباته ، عندما يكون الحديث عمّا له وما عليه .

فحقوق الانسان - مثلاً - تأخذ تعبيراتها في ظل الثورة ، بقدر ما تأخذ الثورة مداها في التعبير عن مبادئها وطمأنئ عليها او تأخذ حقوق الانسان صيفها ومعاناتها بقدر متوازن مع الشوط الذي تقطعه الثورة في التعبير عن مبادئها الشمولية في الحياة ككل . فكلما قطعت الثورة شوطاً أبعد تقدماً كلما عبرت حقوق الانسان عن نفسها في المعنى والصيغة بشكل اكثـر تقدماً .. على ان كل صيغ التعبير عن حقوق الانسان تأخذ معناها من جوهر واحد

(١) فؤاد مطر (صدام حسين .. الرجل والقضية والمستقبل) - ١٩٨٢ ص ١٤

(فجاجة الانسان والأمة الى العلم مساوية لحاجتها لأن تعيش ، اذ لم يعد بالامكان لأية امة ان تعيش كأمة محترمة ، وان يكون لها دور في المجتمع الانساني العالمي لبناء الحضارة أو الحضارات الإنسانية من دون ان تحترم العلم ويكون لها باع محدد في تطور اكتشافاته واستخداماته) ^(٢).

ان الرئيس القائد صدام حسين ، اذن ، اذ يرى في الانسان قيمة عليا ، فلأن كل شيء ما وجد ولم يوجد الا بسببه ولصالحه . فلم تقم الحضارات وتزدهر الأمم الا بيديه ، ولم تثمر الأرض الا لسعادته والارتقاء به ليكون - كما اراد له خالقه - صورة الله في الارض من حيث الكمال والجلال والطهارة . لكن عظمة الانسان ، أي انسان ، لا ين لمجرد كونه انسانا وليس هناك انسان مجرد بل لكونه ان يظل (جنديا مجها ولا) . فالاعمال والانتصارات الكبيرة - ومنها الفتوحات الاسلامية مثلا - (لم تكون بفضل القادة فحسب وانما كانت مزيجا من مبادئ وسياسات وقوفة ، أي جمهور وقادة ومبادئ) .

قام هذا يعني - فيما يعنيه - ان الرئيس القائد صدام حسين لا يرى ان ثمة انسانا خاما بذاته ، وانسانا فاعلا بذاته ، بل الخمول والنشاط لدى الانسان وليد الظروف الحبيطة به ، بما في ذلك ظروف تكوينه البايولوجي . فمن

واجباته وان تربط ربطا حيا هذه المسألة بين وجود المواطن في المجتمع وقيم العمل الجماعي من جهة وبين دور المواطن ضمن المجتمع وحقوقه على مؤسسات الدولة وعلى المجتمع من جهة اخرى) ^(٣) .

ففي الدولة الحديثة - كما يلاحظ الرئيس القائد صدام حسين - يجب ان تسود في العمل قيم الانجاز الديمقراطي بين الرئيس والمرؤوس ، بين الطالب والدرس ، بين المواطن ومؤسسات الدولة . ففي الحوار الديمقراطي يتخذ القرار الصحيح أولا لصالح المجموع ويتربي الفرد على قيم العمل الصحيحة . لأنه يشعر انه معزول اولا وانه مسهم في القرار الذي يجب ان يحافظ عليه ، ثانيا .

ان احساس الفرد بقيمة كأنسان وقيمة ضمن الجماعة تعطيه قوة مضافة وتصميما أكبر في العمل . فقد كفى للزعان يظل (جنديا مجها ولا) . فالاعمال والانتصارات الكبيرة - ومنها الفتوحات الاسلامية مثلا - (لم تكون بفضل القادة فحسب وانما كانت مزيجا من مبادئ وسياسات وقوفة ، أي جمهور وقادة ومبادئ) .

ولأن العلم حجر الزاوية في بناء الانسان والأمة وبناء حضارة ، فقد أولاه القائد صدام حسين اهتماما كبيرا

٤٦ .) المصدر السابق - ص

(٢) الرئيس القائد صدام حسين (الثورة والتربية الوطنية) ص ١٤ .

يعطيه المرونة لكي يقول القرار العادل بدون ما يقف الشكل القانوني حائلا دون هذا^(١).

وعلى صعيد التطبيق الاشتراكي الذي يجب ان يكون جوهرها ومظها في خدمة الانسان وتفجير طاقاته لا مجرد ملء معدته، يرى الرئيس القائد صدام حسين بعمق وشمولية، انه في التطبيق الاشتراكي لا ينبغي توفير المستلزمات المادية له وحسب (وانما شروطه الانسانية بالدرجة الاولى لأن الاشتراكية في نظره حزبنا فلسفة متكاملة للحياة بكل عناصرها الرئيسية والفرعية ، وليس معالجات وحلولا اقتصادية وحسب . وبذلك تتجنب خسارة الانسان الذي هو غاية التطبيق الاشتراكي^(٢)).

ومن شروط تجنب خسارة الانسان وتوفير الشروط الانسانية له – في رأي القائد صدام حسين – هي ان تكون الممارسة الديمقراطية جزء من نهجنا بشكل دائم (انها ركن اساس في عقيدة حزبنا ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، التي تقوم على اساس اعتبار الانسان قيمة عليا ، وليس القيمة العليا ، لأن حاصل القيمة العليا ليس

(١) الرئيس القائد صدام حسين (التراث العربي والمعاصرة) - بغداد ص ٤٢ - ٢٨

(٢) الرئيس القائد صدام حسين (الملاكيات الخاصة ومسؤولية الدولة) بغداد ص ١٢

حاصل مواهب المجتمع تستطيع ان تخلق مستوى حضاريا معينا

وللدلالة على اهتمام القائد بالجوهر الانساني للانسان ولأهمية قضية نصرة مثلا في مسألة العدالة وتطبيق القانون . فالقانون - حقا - وسيلة القاضي الى العدالة ، ولكنه اذا خلا من الجانب الانساني قد يتحول الى سيف على رقبة الابرياء . والبراءة درجات دون شك كما ان الجرم درجات . وبهذا الشأن يقول سيادته (انني اعرف ان من اهم واجبات القاضي هو الالتزام بتطبيق القانون كما هو موضوع امامه ، لكنني اعرف كذلك من الواجبات الاساسية الاخرى للقاضي ان يكون انسانا ذا نظرية شمولية وثاقبة للحياة من اجل معرفة جوهر القضايا الانسانية المطروحة عليه) .

اي ان تحقيق العدالة لا يمر عبر تطبيق القانون فحسب ، بل يرى القائد صدام حسين ان العدالة اشمل من هذا وأشمل من القانون وتنطلب من جملة ما تتطلبه ايجاد قوانين جديدة متطرورة على الدوام وتشغيل كل انشطة المجتمع والدولة في خدمتها .

(لكي نضمن العدالة في جوهرها الانساني لابد - مع الاعتراف بدور القانون كدليل لتنظيم حياتنا في المجتمع وبعد التأكيد على أهمية التقاط مسالتين متداخلتين معا : جوهر القضية انسانيا وجوهرها العادل انسانيا في كل تصرفنا - لابد ان يكون للقاضي هامش معقول من الاجتهاد

المصادر:

- ١ - في سبيل البعث - الرفيق القائد المؤسس (ميشيل عفلق).
- ٢ - تطور الايديولوجية العربية الثورية (القسم الاول) - الدكتور الياس فرح.
- ٣ - مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية - د. الياس فرح.
- ٤ - الثورة والتربية الوطنية - الرئيس القائد صدام حسين.
- ٥ - جريدة (الثورة العربية).
- ٦ - نكسب الشباب لنضمن المستقبل - الرئيس القائد صدام حسين.
- ٧ - من شعارات الحزب ومستلزمات التطبيق.
- ٨ - بعض المنطلقات النظرية لحزب البعث العربي الاشتراكي.

الإنسان وحده ككيان مستقل ، وإنما هو كل الأهداف المركزية المتقابلة ، والتي يسعى حزبنا إليها .. إلا أن الإنسان ، ضمن الأهداف المركزية ، هو قيمة عليا ، من بين القيم العليا الكبيرة الأخرى . لهذا ينبغي احترام الإنسان (٦) وعدم الاستهانة به

(٦) الرئيس القائد صدام حسين (الديمقراطية ضرورة مبدئية وعملية) بغداد ص ١٤ - ١٥

المحتويات

| | |
|----|---|
| ٩ | ١ - المقدمة |
| ١٣ | ٢ - الإنسان في فكر حزب البعث العربي الاشتراكي |
| ٢٩ | ٣ - الإنسان ومهماته التاريخية |
| ٥٩ | ٤ - المجتمع الثوري والتجربة العراقية |
| ٨٣ | ٥ - الإنسان في فكر الرئيس القائد صدام حسين |
| ٩٣ | ٦ - المصادر |

- ٩ - وصايا إلى المناضلين - الرئيس القائد صدام حسين .
- ١٠ - الشعب مصدر القوة والعطاء - الرئيس القائد صدام حسين .
- ١١ - المرأة في فكر ونضال حزب البعث - د . الياس فرج .
- ١٢ - الثورة والمرأة - الرئيس القائد صدام حسين .
- ١٣ - حزب البعث العربي الاشتراكي - الاستاذ شibli العيسوي .
- ١٤ - الوطن - القائد - المواطن - للمؤلف .
- ١٥ - بحوث الندوة الفكرية لنقابة المعلمين .
- ١٦ - نخدم المبادئ ونصنون الامانة، لا تراجع وإلى امام - الرئيس القائد صدام حسين .
- ١٧ - الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة - الرئيس القائد صدام حسين .
- ١٨ - التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع للحزب .
- ١٩ - التراث العربي والمعاصرة - الرئيس القائد صدام حسين .
- ٢٠ - الملكية الخاصة ومسؤولية الدولة - الرئيس القائد صدام حسين .
- ٢١ - صدام حسين .. الرجل والقضية والمستقبل - فؤاد مطر .

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٦٧١٠ العام ١٩٨٤

دار الحرية للطباعة - بغداد

المحتويات

| | |
|----|---|
| ٩ | ١ - المقدمة |
| ١٣ | ٢ - الإنسان في فكر حزب البعث العربي الاشتراكي |
| ٢٩ | ٣ - الإنسان ومهماته التاريخية |
| ٥٩ | ٤ - المجتمع الثوري والتجربة العراقية |
| ٨٣ | ٥ - الإنسان في فكر الرئيس القائد صدام حسين |
| ٩٣ | ٦ - المصادر |

- ٩ - وصايا إلى المناضلين - الرئيس القائد صدام حسين .
- ١٠ - الشعب مصدر القوة والعطاء - الرئيس القائد صدام حسين .
- ١١ - المرأة في فكر ونضال حزب البعث - د . الياس فرج .
- ١٢ - الثورة والمرأة - الرئيس القائد صدام حسين .
- ١٣ - حزب البعث العربي الاشتراكي - الاستاذ شibli العيسوي .
- ١٤ - الوطن - القائد - المواطن - للمؤلف .
- ١٥ - بحوث الندوة الفكرية لنقابة المعلمين .
- ١٦ - نخدم المبادئ ونصنون الامانة، لا تراجع وإلى امام - الرئيس القائد صدام حسين .
- ١٧ - الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة - الرئيس القائد صدام حسين .
- ١٨ - التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع للحزب .
- ١٩ - التراث العربي والمعاصرة - الرئيس القائد صدام حسين .
- ٢٠ - الملكية الخاصة ومسؤولية الدولة - الرئيس القائد صدام حسين .
- ٢١ - صدام حسين .. الرجل والقضية والمستقبل - فؤاد مطر .

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٦٧١٠ العام ١٩٨٤

دار الحرية للطباعة - بغداد